الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي . الأغواط .

فرع الفلسفة

نظرية التطور الداروينية من منظور اسلامي

مذكرة نهاية الدراسة للتخرج ماستر فلسفة الحضارة

إعداد الطالبة: بن قشوة عفاف .

إشراف الأستاذ: عباسي نوال

السنة الجامعية :2016/2015

مداء

سم ٱلله حمن حيم

(قل ملوا يرى ٱلله لكم سوله و منون)

هي لا ليبه ليل إلا تحرك و لا ليبه هار إلا عتلك ..ولا ليبه طات إلا تحرك ..ولا ليبه خرة
.إلا نوك ..ولا ليبه جنة إلا يتلك بل ٱللك

لى من لغ سالة و دى مانة .. صع أمة .. لى يى حمة نور لمين دنا حمد لى ٱلله ليه
. سلم

دي مرة ديي خا لى من صى مما ان إلى ديي

لى من زيي ٱلله زها حمني طفها ممني بها . لى من تني هنا لى هن .. لى من متز
واتها رش حمان .. لى من ضع ٱلله بت ميها اض خان . لى من لا ني مات تكر و لا
بام حمر رد زء من عالها ليا . لى تلي بايبه مي بيبة تالك ٱلله

لى من لله ٱلله ميبة وقار . لى من مني طاء بون ظار . لى من فتح عه نيي ياة . لى
رسة اضع .. لى من انت راته رساء و واته رساء لماته وس .. لى مز ضال
. صرار .. لى من حمل سمه كل نخار لى ديي الي طال ٱلله يي مره

لى من مرت يي ابهم فرسموا يي يي مس حب ياة، لى تلي حتني ياة وتي ندي
{ بوحة نانها{ بد مريم لمي

. ؛ سارة بنائه{ا وثر و بد ميد عمر{ فاطنة

لى هل قرباء استثناء ،

. لى ودع يي مت لى حي قيد" بد سلام ن مر' سأل ٱلله ن كنه سيع انه

لى من لا ساها ولا مل يي من تحرها لي يقة ولتي ظة . الى بقاتي هاجر احلام عبير
سمية حميدة جهيدة

لى كل من مو يي تحرتي سوا يي يي والى كل من خذ ذكرة رجع له

نهت

عرفان

داد هذا البحث الا ان اتقدم

نان الى اساذتي الفاضلة

أ. ، نوال

ذا البحث حيث قدمت لي كل

عداد فلها مني جزيل الشكر

قدير .

وتني أن أ رفان الى كل من

تاذ بن عطية عطية و الدكتور

ى عبد الرحمان و الاستاذ ناجم

، على كل ما قدموه لنا طيلة

الدراسي

ن قشوة

مقدمة

الفصل الاول

شهد القرن التاسع عشر ميلادي ظهور نظريات أثرت في الحياة الانسانية تأثيراً خطيراً و سلبياً في مسألة الخلق, اذ دعا أكثرها الى الفلسفة المادية في تفسير نشأة الخلق, و تعد نظرية التطور و الارتقاء عند داروين أخطر النظريات في مسألة نشأة الخلق, اذ ادخلت هذه النظرية عن عمد في العلم الحديث من قبل العديد من الجهات و في كل جوانب الحياة اليومية و في السياسة و الاجتماع, حتى اعتقد انها حقيقة علمية, و لهذا السبب ارى انه من الواجب علينا ان نحارب نظرية داروين الزائفة, اذ يتعلق الموضوع بمسائل العقيدة و الايمان, لان مضمونها يدل على نفي كمال قدرة الخالق, و لذلك سأقوم في هذه الدراسة بعرض النظرية ثم نقدها و رد الشبهات التي أثيرت فيها عن أصل الخلق, و ذلك من خلال تفنيدها عقدياً من خلال القرآن و السنة, و من خلال آراء بعض المفكرين و الفلاسفة.

يتضمن هذا البحث ثلاث فصول, كل فصل يحتوي على أربعة مباحث و خطة البحث ملخصة كالآتي:

الفصل الأول: و هو بعنوان تشارلز داروين, تطرقت في المبحث الاول عن التعريف بسيرة حياة داروين و هو عالم تاريخ طبيعي بريطاني من مواليد 1809 صاحب نظرية التطور و الارتقاء, اما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أهم مؤلفات داروين, فكتابه أصل الأنواع الذي ظهرت طبعته الأولى سنة1859 فقد أثار ضجة كبيرة و مازال يعاد طبعه بعدة لغات عديدة حتى اليوم, أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه عصر داروين و هو العصر الكمبري, العصر الذي كان فيه داروين و الجيولوجيون يدعون أن أقدم الحفريات ظهرت فجأة على طبقات صخرية فارغة في تلك الحقبة. أما المبحث الرابع و هو تأثير داروين في الفكر الحديث, يبحث أسس داروين فرعاً جديداً من علوم الحياة و هو البيولوجيا التطورية, و هي على النقيض من الفيزياء و الكيمياء, فأهمية داروين في الفكر الحديث تكمن في نتيجة تحليليه النظرية الداروينية على مدى القرن المنصرم.

أما الفصل الثاني المعنون بنظرية التطور عند داروين و من قبله فهو ينقسم أيضاً الى اربع مباحث, المبحث الاول و هو نظرية التطور قبل داروين, حيث أن أفكار داروين كانت موجودة قبله خاصة عند لا مارك و والاس, و المدهش هو أن ابن خلدون سبق داروين منذ خمسة قرون في الحديث عن تطور المخلوقات و تشبعها, اما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه الى نظرية التطور عند داروين, بحيث أن أساس نظرية داروين تقوم على أن أصل الانسان يرجع الى قرد حيث حدثت عدة تطورات متسلسلة أدت لتشكيل صورة الانسان الحالية, مبنياً في نظريته كل العوامل التي ادت لتطور القرد حتى أصبح انساناً, اما المبحث الثالث فقد تحدثنا فيه عن نظرية التطور بين العلم و الدين اللذين يعتبران وجهان لعملة واحدة, فالدين يؤدي الى العلم لأن العديد من الآيات و الأحاديث تحث على العلم, و العلم يؤدي الى الايمان لأن التأمل في الكون و مخلوقاته تأملاً علمياً ينتهي بنتيجة حتمية أن للكون صانعاً حكيماً. أما المبحث الاخير من هذا الفصل فقد تطرقنا فيه الى نظرية التطور بين مؤيد و معارض, حيث لا توجد نظرية في العصر الحديث أثرت على حياة البشرية مثلما فعلت نظرية التطور, فهي نظرية يتحمس المؤيدون للدفاع عنها و كأنها عقيدتهم في النشأة و الخلق. و بالنسبة للفصل الأخير و المعنون ب: نظرية التطور من وجهة نظر إسلامية , المبحث الأول تناولت فيه الطرح القرآني لنظرية التطور بحيث تناولنا حقيقة التطور من خلال الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم , كما تحدثنا فيه عن خلق سيدتا آدم و كيف جعله الله خليفة في الأرض , أما المبحث الثاني فهو بعنوان التطور و القرآن الكرية بحيث نبين في هذا المبحث أدلة من القرآن الكريم تنفي أن الانسان و القرد كلاهما من اصل واحد بحيث أن الزمن الذي عاش فيه داروين لم يكن العلم قد وصل الى أية وسيلة يمكنه من خلالها التمييز بين رفات النسان و الحيوان , أما المبحث الثالث فتناولت فيه التطور و السنة النبوية , حيث أن العلماء المسلمين لم يكن لديهم الكثير في قضية التطور غير احاديث قليلة بعضها فقط صحيح , أما المبحث الأخير في الفصل الأخير و هو فكرة التطور عند

فلاسفة الاسلام , تناولنا فيها اربع علماء مسلمين و هم فرقة إخوان الصفا , حيث أن التطور لديهم كان ينشد غاية و هدف , كذلك تحدثنا عن التطور عند مسكويه الذي يرى أن التطور ما هو إلا محاولة لعرض الفروق الجوهرية بين كل أفق و آخر , أما العالم الآخر فهو البيروني ففكرة التطور عنده تتميز بالضبابية و عدم الوضوح , و أخيرا نجد ابن خلدون حيث أن فكرة التطور عنده تشمل كل شيء الناس , الامصار , الاوقات , وحتى الدول وأخيرا الخاتمة و كانت تحتوي على المشكل المطروح وخلاصة عامة للبحث و النتائج و الآفاق لهاته الدراسة .

الفصل

المنهجي

الفصل المنهجي

تمهيد

اشكالية البحث

اهمية الدراسة

اهداف الدراسة

المفاهيم المفتاحية و الاساسية للدراسة

المنهج و أدوات البحث

أسباب اختيار الموضوع

الدراسات السابقة

الصعوبات التي واجهت الباحث خلال قيامه بالبحث

خطة البحث

خلاصة

تمهيد:

تعتبر نظرية داروين احدى النظريات التي شغلت العالم و لا تزال تشغله , ذلك لأنها نظرية تريد تفسير لأصل الانسان و لأصل الحياة و نشأتها على هذه الأرض , فهذا الموضوع يهم الانسان كثيرا فهو يهمه من ناحيتين : من الناحية العلمية و من الناحية العقائدية , ترتبط هذه النظرية بمسائل العقيدة و الايمان فهذا الجانب هو الذي اعطى لهذه النظرية مثل هذه الاهمية التي لا نشاهدها في النظريات العلمية الاخرى التي قلما اهتم بها أوساط الناس قدر اهتماهم بهذه النظرية , فنظرية التطور نظرية بيولوجية تقوم بتوفير شروحات التنوع في الكائنات الحية و خاصة الانسان , فالإنسان في حقيقة أصله ووجوده هو ذلك الكائن البشري الذي يعود أصله للتراب , قال الله تعالى :﴿ و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون ﴾ فالإنسان خلق من تراب انتماءاً الى ابي الخلق آدم عليه السلام الذي بدأ خلقه من طين ثم تحول بإرادة من الله الى صورته الوافية الحسنة , ذات التركيبة البشرية التي تتسم بكل خصائص التكامل , لذلك جاء بحثنا هذا للوقوف على **إشكالية البحث** : ما هي وجهة نظر الاسلام و المسلمين حول نظرية التطور و الارتقاء لداروين ؟ و من هنا نطرح التساؤلات التالية ,

أولاً: ما حقيقة نظرية داروين حول نشأة الخلق و تطورهم ؟

ثانياً: من هم أهم العلماء الذين قالوا بهذه النظرية قبل داروين ؟

ثالثاً: ما موقف القرآن الكريم و السنة النبوية من نظرية داروين في نشأة الخلق ؟

رابعاً: ما موقف العلم الحديث و العلماء المسلمين من هذه النظرية ؟

أهمية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الى ابراز حقيقة نظرية داروين في نشأة الخلق عن طريق ملحوظاته و نصوصه و كلامه في كتابه (أصل الانواع) الذي يتحدث فيه عن مفهوم الخلق و أدلته التي تؤدي الى تطور الكائنات الحية من النبات و الحيوان , كما تظهر أهمية هذه الدراسة في بيان العلاقة القوية لهذا الموضوع بالعقيدة و الايمان , كما تسعى الى اظهار عرض مشكلة الخلق و نقد النظرية من خلال القرآن و السنة النبوية .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى عرض نظرية التطور ثم تصحيح و تقويم المفاهيم الخاطئة عن حقيقة نظرية داروين لذى العلماء , و بالتالي كشف الخلل في هذه النظرية عن نشأة الخلق و تفنيدها من خلال القرآن و السنة النبوية و مبادئ العلم الحديث , و كذلك تفنيدها بالدليل العقلي و النقلي .

المفاهيم المفتاحية و الاساسية للدراسة :

التطور: لغة : يدور معنى التطور لغة على معان متعددة منها : تارة , أصناف , حالات الحد بين الشيئين , فعل الشيء بعد الشيء .

يقول ابن فارس : " طورا "الطاء و الواو و الراء أصل صحيح يدل على معنى واحد و هو الامتداد في شيء من مكان او زمان , من ذلك طوار الدار , و هو الذي يمتد معها من فنائها , و لذلك يقال عدا طوره , أي جاز الحد الذي هو له من داره , ثم استعير ذلك في كل شيء يتعدى ... ومن الباب قولهم: فعل ذلك طورا بعد طور, فهذا الذي ذكرناه من الزمان كأنه فعله مدة بعد مدة[1], وجاء في لسان العرب : " طور " الطور اشارة تقول طورا

1. ابن فارس ,**مقاييس اللغة** ,اتحاد الكتاب العرب , ج 3 ,2002 , ص 336

بعد طور اي تارة بعد تارة[1] , اما تعريف التطور اصطلاحا فيمكن أن يعرف بأنه التغيير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية و سلوكها و يطلق أيضا على التغيير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع او العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه[2]

العصر الكمبري : و يعتبر أول عصر جيولوجي من عصور الحقبة الاولى , ويأتي بعده العصر الاردوفيتشي , تأسست هذه الفترة بواسطة العالم الجيولوجي أدم سيدجويك , الذي أطلق عليها الاسم نسبة الى كامبريا الاسم اللاتيني لويلز , حيث وجدت أول احجار من ذلك العصر , يعتبر الكامبري فريد للنسبة المرتفعة للرواسب الأحفورية التي تكونت خلاله و هذه أماكن حفظ طبيعية , حيث احتفظت بأجزاء لكائنات حية كانت صغيرة و لينة و كذلك أصدافها الأكثر مقاومة ,و هذا يعني أن فهمنا لبيولوجيا الكامبري تفوق بعض الفترات التي جاء بعدها , تعد حقبة الكامبري من أقدم الحقب في تاريخ الارض و التي امتدت من 543الى 490 مليون سنة , في البدأ اقتصرت الحياة على وحيدات الخلية مع بعض الكائنات المتعددة الخلايا , لكن خلال نفس الحقبة ظهرت مجموعة متنوعة الاشكال الحية الغير اعتيادية و التي كانت مكتملة و مثالية الشكل , كل هذه الاشكال الحية جاءت مغايرة تماما لسابقتها حيث كانت لها صفات معقدة مطابقة لما هو عليه الحال بالنسبة لجميع الكائنات الحية في وقتنا الراهن[3]

الانتخاب الطبيعي : أو الاصطفاء الطبيعي هو عملية غير عشوائية فيها يزداد أو يقل شيوع الخلايا الحيوية في التجمع الاحيائي من جراء التكاثر التمايزي اي تباين حاملي هذه السمات من حيث التكاثر , و هي آلية اساسية للتطور , الاصطفاء الطبيعي هو حجر

1.ابن منظور ,**لسان العرب** ,ط1 , دار صادر بيروت , ص 507 .

2.ابراهيم مصطفى ,**المعجم الوسيط** ,مجمع اللغة العربية , ج2 , ص 41.

3.

أساسي في علم الاحياء الحديث , ان تشارلز داروين هو من أتى بمصطلح الاصطفاء الطبيعي و أشاعه في أصل الأنواع[1]

الصفات الوراثية: و هي الصفات التي تنتقل عبر الاجيال اي من الآباء الى الابناء فهي ليست صفات مكتسبة . يمكن تصنيف الصفات الوراثية في مستويات عديدة , فعند الانسان مثلا نجد : صفات نوعية مثل الوضعية المنتصبة , شكل الجسم و كذلك نجد صفات عرقية مثل لون الجلد و صفات فردية مثل ملامح الوجه[2]

خلية الأميبيا: الاميبيا كائن وحيد الخلية ينتمي الى مملكة الطلائعيات ضمن طائفة اللحميات , وهي عبارة عن كتلة بروتوبلازمية ميكروسكوبية , يتراوح قطرها بين 127. 340 ميكرون , و يبلغ قطرها أكبر أنواعها نحو 1/2 ملم , فتظهر هذه للعين المجردة كنقطة لامعة في الماء , و أول من اكتشفها روسل عام 1755 و معظم الاميبيات ليست ضارة للإنسان[3]

المنهج وأدوات البحث:

اتبعنا في هذه الدراسة ثلاثة مناهج:

أولا: المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على استقراء المصادر و المراجع التي لا علاقة لها بالموضوع سواء كانت باللغة العربية أو الانجليزية و عرضها بشكل مرجعي موضوعي يعتمد ابراز ما يتعلق بنشأة الخلق في رؤية داروين

1.عبد العزيز محمود و آخرون معجم المصطلحات العلمية, ط12, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة,مصر,2008,ص 65
2.المرجع نفسه, ص 71.
3المرجع نفسه, ص 68.

ثانيا: المنهج التحليلي: و ذلك بملاحظة النصوص في كتب داروين و لآثاره حول مسألة نشأة الخلق , و تفكيك عباراتها لإدراك حقيقة نظريته في مفهوم الخلق و استخراج شبهات داروين في هذه المسألة

ثالثا: المنهج النقدي: و ذلك بإقامة الردود على الشبهات التي أثيرت حول نظرية داروين و نقدها بتقديم الادلة النقلية و العقلية .

أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب منها

أ- الاسباب الموضوعية : حيث أن نظرية داروين قد واجهت صراع بين مؤيد و معارض لها خاصة حول ادعاؤها بأن اصل الانسان قرد , و مناقضتها لما جاء في القرآن الكريم

ب-الاسباب الذاتية: و هو اهتمامي بالجانب العلمي من الفلسفة و خاصة موضوع نظرية التطور عند داروين و دراسته من الناحية الاسلامية .

الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع:

1-دراسة في ميثولوجيا الخلق لدى المؤرخين المسلمين حتى القرن الرابع هجري , لهبة خالد احمد سليم , سنة 2005م , رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية لنابلس , فلسطين تناولت هذه الدراسة رؤية اربعة مؤرخين لموضوع الخلق , أي خلق السماوات و الارض و الحيوانات و النباتات , كما ورد فيها قصة خلق ابليس و آدم من وجهة نظر اسلامية

تتفق هذه الرسالة مع رسالتي بأنها تناولت موضوع الخلق بشكل عام , بينما تختلف عنها بأنها تتحدث عن نشأة الخلق عند المؤرخين المسلمين فقط , بينما رسالتي تعرض هذه المسألة من خلال القرآن و السنة و العلم الحديث ردا على نظرية داروين في نشأة الخلق

الصعوبات التي واجهتني خلال قيامي بهذا البحث:

من ما لاشك فيه أن لكل باحث صعوبات قد تواجهه خلال قيامه ببحثه ومن بين الصعوبات التي واجهتها خلال قيامي بهذا البحث :

عامل اللغة الذي كان عائقا أمام استعانتي بالمصادر أو المراجع باللغة الاجنبية خاصة أن أغلب مصادر داروين باللغة الانجليزية , رغم هذه الصعوبة إلا أني حاولت و اجتهدت في ترجمة بعض المصادر بهدف اثراء بحثي بالمعلومات كما أني استعنت بالمصادر و المراجع المترجمة لكي أفسر خلق الانسان و تطوره من الناحية الاسلامية

خطة البحث:

الفصل الاول: تشارلز داروين

المبحث الاول: سيرة حياة داروين

المبحث الثاني: مؤلفاته

المبحث الثالث: عصر داروين (العصر الكامبري)

المبحث الرابع: تأثير داروين في الفكر الحديث

الفصل الثاني: نظرية التطور عند داروين و من قبله

المبحث الاول: نظرية التطور قبل داروين

المبحث الثاني: نظرية التطور عند داروين

المبحث الثالث: نظرية التطور بين العلم و الدين

المبحث الرابع: نظرية التطور بين مؤيد و معارض

الفصل الثالث: نظرية التطور من وجهة نظر اسلامية

المبحث الاول: الطرح القرآني لنظرية التطور

المبحث الثاني: التطور و القرآن الكريم

المبحث الثالث: التطور و السنة النبوية

المبحث الرابع: التطور عند فلاسفة الاسلام

خلاصة:

و في الأخير يمكن القول أن القرآن ليس كتاب علم بل كتاب هداية و قد تعرض لأمور التطور و الخلق من باب الاشارة لا غير و ترك لنا الامور في أن نبحث و نعرف قال الله تعالى :﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ فالقرآن لم يتعرض لما يمكن أن يكتشفه الانسان علميا , بل ترك الامر للإنسان في هذا و كذا الانبياء لم يفعلوا فالأمر موكل الى الانسان , لأنه يملك عقلا جبارا و عليه ان يبحث و يستقصي ليعرف و يكتشف .

الفصل الأول: تشارلز داروين

المبحث الأول: سيرة حياة داروين

المبحث الثاني: مؤلفات داروين

المبحث الثالث: عصر داروين (العصر الكمبري)

المبحث الرابع: تأثير داروين في الفكر الحديث

المبحث الأول :سيرة حياة داروين

تشارلز داروين هو الابن الخامس لروبرت وارنج داروين و ثاني ابنائه من زوجته الثانية سوزان ودجوود[1], وهو عالم تاريخ طبيعي بريطاني , ولد في انجلترا في 12 فبراير 1809 في شروسبوري , ابوه كان طبيبا مشهورا مما وفر له حياة منعمة وسعيدة ومستقرة , اما امه فقد كانت كريمة جدا وذكية وكانت ذا فضل في تشجيعه على البحث والمعرفة مع أنها توفيت وهو في الثامنة من عمره[2].

اما جده فهو الدكتور " إراسموس داروين " وهو ايضا كان طبيبا مشهورا وكان من اصدقاء العالمين المشهورين "وات " و "بريستلى" ونشر العديد من الكتب في موضوعات مختلفة , ومن اشهر هذه الكتب نجد كتاب "أسماء الحيوانات " وقد كان اكبر المؤيدين لنظرية التطور التي وضعها "دي ميل " وغيره من العلماء والتي كانت المقدمة لظهور مذهب لا مارك[3] .

اما جده لامه فهو "ويجود" الخزاف العظيم الذي لاتزال مصنوعاته من الاطباق والزهريات تباع تحفا غالية يقتنيها الاثرياء للفخر , ويعرضونها في مناظرهم للضيوف , ومن هاذين الجدين نعرف ان التراث الذهني الذي ورثه داروين من عائلتي ابيه وامه لم يكن مما يستهان به[4]

نشأ تشارلز داروين في الريف وكان في صغره قويا ونشيطا ذا قدرة عقلية متأملة وناقدة وليست محدودة بوجهات النظر الاحادية وكان واسع الاطلاع في العديد من الموضوعات التي تستهويه وكان ذا دأب شديد على العمل واشترك مع اخيه الاكبر في إجراء التجارب الكيميائية في

1- شمس الدين آق بلوت , **داروين ونظرية التطور** , ت اورخان محمد علي , ط7, دار الصحوة , القاهرة , مصر , , 1980 , ص 11

2- تشارلز داروين ,**اصل الانواع** , ت مجدي محمود المليجي , ط1, المجلس الاعلى للثقافة , القاهرة , , 2004 , ص31

3 المرجع نفسه,ص 32

4شمس الدين آق بلوت , **داروين ونظرية التطور** ,المرجع السابق ,ص 12,

معمل صغير , وهي التي استغرقت من وقته كثيرا الى حد ان زملائه اطلقوا عليه لقب "السيد غاز " [1]

حصل داروين على التعليم المألوف في مدارس الطبقة المتوسطة ثم التحق بجامعة ادنبرة لكي يتخرج طبيبا , ولكن بعد سنتين كف عن التحصيل نفورا من الطب , ثم انتقل الى جامعة كمبردج كي يخرج قسيسا , ثم كف ايضا عن التحصيل , وكان طيلة ايامه في هاتين الجامعتين متعلقا بهوايته التي صارت بعد ذلك رسالة حياته وغاية وجوده في هذه الدنيا وهي دراسة الحيوان والنبات[2]

التحق داروين ايضا بمدرسة شروزبري وامضى بها سبع سنوات من الوجهة التعليمية ,حيث اقتصر التعليم فيها على الحفظ عن ظهر القلب للأدب القديم والمقطوعات الشعرية , اي على نفس صورة تحفيظ القرآن وألفية ابن مالك في كتاتيب القرى القديمة , وقد اعتبر داروين هذه الفترة التي قضاها في المدرسة على انها مضيعة للوقت , بل وحتى المدرسون رأو في داروين انه تلميذ بليد الذهن , وكان من أثر ذلك أنه شغل معظم وقته بالصيد والرياضة والكلاب واقتناص الفئران [3]

ومن هنا نفهم ان داروين لم ينفع بتاتا بالجامعة , وتخبّطه بين الطب والكهانة يدل على تبلبل ذهنه وتسكعه في الثقافة , كما نفهم انه لم يكن لهاتين الجامعتين أي فضل في اهتدائه الى نظرية التطور و كل ما يذكره داروين انه عرف " الأستاذ هنسلر" في الجامعة , وانه كان يسدّده

1.تشارلز داروين ,**اصل الانواع** ,مرجع سابق ,ص 32

2.المرجع نفسه ص 33.

3.شمس الدين آق بلوت , داروين ونظرية التطور , مرجع سابق , ص 13

ويرشده في جميع الحشرات والنباتات النادرة , ويذكر زملاء داروين في شبابه أنه كان مغرما بجمع الحشرات , وكان يخرج في رحلات خاصة يبحث فيها عن النباتات الغريبة في البحر واليابسة [1]

التقى داروين في الجامعة ببعض من اذكى علماء الطبيعة في عصره في سنة 1831 , حصل على مقعد على متن سفينة صاحبة الجلالة المسماة "بيغل لرحلة حول العالم ", خلا ل سنوات الرحلة الخمس قام داروين بتدوين سجل عالمي لكل ما شاهده وعاينه في الميدان , والذي يغطي البيولوجيا والجيولوجيا وعلم الانسان , مع مذكرات وملاحظات مفصلة عن السكان الاصليين , الحيوانات , النباتات , الطيور والحشرات من الاماكن التي زارها – البرازيل , تشيلي , بيرو ,تاهيتي , استراليا وغيرها .[2]

في يوليو 1837 بعد عودته من الرحلة , بدأ في تدوين الحقائق التي جمعها والمتعلقة بتحول الانواع الحية وتسلسل بعضها من بعض , ولكنه لم يقتنع بصورة تامة بان الانواع الحية هي كائنات متحولة , الّا بعد مضى عامين او ثلاثة , وكان قد استغرق تماماً في دراسة علم الحيوان بجانب اهتمامه السابق بعلم طبقات الارض والاحافير , لما في ذلك من اجابات تدور في ذهنه حول النظرية التي بدأت في التبلور لديه [3]

اكتملت نظرية " نشأة الانواع الحية " في عقل داروين في عام 1844 بل انه كتبها مع التوصية بنشرها في حالة وفاته , ولكنه امضى خمسة عشر عاماً بعد ذلك في جمع الحقائق العلمية التي تؤيدها قبل نشره لأول مرة في عام 1859 [4]

1 المرجع السابق, ص 14 .

2 Charles Darwin, the **prigin of species**, populaire carrent Edition, bamtan classic, 1999, scientifique, American, July, 2000, p 21

3 Ibid. p 22

4 شمس الدين آق بلوت , **داروين ونظرية التطور** , مرجع سابق , ص 14

وبعد رجوعه من الرحلة اقام لفترة قصيرة في كامبريدج , ثم انتقل الى مدينة لندن حيث شغل لمدة خمس سنوات وظيفة سكرتير للجمعية الجيولوجية وقد استمر في عمله وهو بصحة جيدة الى ان اصابه مرض غريب الاعراض عند ربو سفينة في ميناء " فلياريزو " عام 1834 , مع انه برأ منه , لكنه ترك آثاراً على بنيته لم تفارقه باقي حياته , وكانت تعاوده نوبات في دورات متعاقبة من الغثيان مصحوبة بانحطاط كبير في عافيته , وكان يقضي الشطر الاكبر من يومه وقد تمتد النوبات الى اشهر متصلة في شعور بالألم و التعاسة [1] .

وفي عام 1882 ساءت وبدأت تنتابه نوبات من الدوار والغيبوبة الى توفي في 19 أبريل 1882 وتم دفنه في الرابع والعشرين من نفس الشهر في كنيسة " وستمنستر " وحمل جثمانه عشر من كبار العلماء , منهم اثنان من الاسرة المالكة , وتوالت الاكتتابات من جميع انحاء العالم الى ان اقيم له تمثال نصب في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في عام 1855 [2]

1 تشارلز داروين , **اصل الانواع** , مرجع سابق , ص 34

2 المرجع نفسه, ص 36

المبحث الثاني : مؤلفات داروين

اخذ تشارلز داروين يدرس الملاحظات التي دونها اثناء الرحلة , ولم يكن بعد قد اقتنع ان الكائنات الحية هي كائنات متحولة الّا بعد مضي سنتين او ثلاث , ولم تكتمل نظرية " نشأة الانواع الحيّة " في عقل داروين الّا سنة 1844 .

ثم ظل طيلة خمس عشر عاماً بجمع الحقائق العلمية التي تؤيد نظريته قبل نشرها لاول مرة في 24 نوفمبر , وكان داروين قد نشر عدّة كتب قبل هذا التاريخ واخرى بعد هذا التاريخ وهي :

1) كتاباً عن الجزر البركانية سنة 1845م
2) صحيفة البحوث العلمية في رحلة بيجل سنة 1845م
3) كتاباً عن المريجيات الى الحيوانات النباتية كالإسفنج سنة 1846م
4) وسائل التخصيب المختلفة للسحلبيات بواسطة الحشرات سنة 1862م
5) « اخصاب الزهور » مقال مهم جداً سنة 1857م
6) النباتات المفترسة سنة 1875م
7) النباتات المتسلقة سنة 1875م
8) تأثير التهجين والاخصاب الذاتي في المملكة النباتية سنة 1876م
9) الاشكال المختلفة للزهور في النباتات التابعة كنوع واحد سنة 1877م
10) القدرة على الحركة في النباتات سنة 1880م
11) التعبير عن الانفعالات
12) تكوين الفطريات بفعل الديدان [1]

1 Charles Darwin, **voyaging**, a biographie, Janet brownie, drinceton university presse, 1996, p 42

اما أهم الكتب التي ألفها داروين وأثارت ضجة كبيرة , فهو كتاب « أصل الانواع » التي ظهرت طبعة الأولى التي تقع في 490 صفحة في 24 نوفمبر 1859 . حيث طبع منه 1250 نسخة نفذت في نفس اليوم الذي طرحت فيه , ومازال يعاد طبع الكتاب بلغات عديدة حتى اليوم , وكتاب « نشأة الانسان » الذي طبع سنة 1871م

وكان قد أصيب داروين كما سبق ذكره بمرض غريب سنة 1834م في ميناء "فلياريزو" ورغم أنه برأ منه إلاّ انه ترك آثاراً على جسده , وفي سنة 1839م تزوج داروين , وفي سنة 1842م ترك لندن وذهب الى مقاطعة "كنت" حيث اشترى منزلاً ومزرعة واستمر في دراساته وتأليفه كتبه [1]

1 Ibid. p 43

المبحث الثالث : عصر داروين (العصر الكمبري)

« يعد الانفجار الكمبري من أكثر الاحداث تميزاً وإثارة للحيرة في تاريخ الحياة » **ستيفن جولد , عالم الحفريات** .

تعتبر السفينة بيجل التابعة للأسطول البريطاني من أشهر السفن على مدار التاريخ , ليس لأنها شاركت في عملية حربية , بل لأنها استضافت على متنها عالم الاحياء الانجليزي الشهير تشارلز داروين في رحلة استمرت خمس سنوات 1831-1836 , لم يكن وقتها داروين مشهوراً ,بل كان مجرد هاوٍ عنده ولع بصيد الطيور وتجميع الخنافس النادرة [1].

عندما شاهد والده **د, روبرت داروين** أول مرة بعد عودته من الرحلة التفت الى شقيقات تشارلز قائلا: « عجباً ! لقد تغير شكل رأسه تماماً » , كان هذا التعبير مناسباً تماماً كتعبير مجازي , لقد غيرت مشاهدات داروين في هذه الرحلة شكل تفكيره , وساهمت في تبلور نظريته التي نشرها بعد نحو ثلاثين عاماً في كتابه " اصل الانواع " سنة 1859 [2].

نادت نظرية داروين بتطور كل الكائنات الحية منذ بدء الخليقة من بعضها , بحيث يتطور الكائن الأكثر تعقيداً من الكائن الأقل تعقيداً , وبحيث يتحول نوع الى نوع آخر عن طريق تغييرات (طفرات) عشوائية عديدة تحدث بالصدفة وتتراكم عبر آلاف من الأجيال المتعاقبة على مدار ملايين السنين , هذه الطفرات من الممكن أن تكون ضارة أو مفيدة , فمن الذي يصطفي الطفرات المفيدة وينحي الطفرات الضارة ؟ هنا يأتي دور ما أسماه داروين بالانتخاب

1.بيتر, ريفن وآخرون , **علم الاحياء** , سلسلة الكتب الجامعية المترجمة , العلوم الاساسية , المملكة العربية السعودية , ب ط, ص123
2.المرجع نفسه , ص 124

الطبيعي .**Natural Sélection**[1]الانتخاب الطبيعي هو ان تتعامل الطبيعة مع الطفرات التي تقدم لها , فتعمل على تعزيز أو حذف ما يستجد من طفرات من خلال استبقاء الاكثر تكيفاً مع البيئة واستبعاد الأقل تكيفاً, وهكذا فالانتخاب الطبيعي هو عملية غير خلاّقة (اي لا تصمم الكائنات) , بل عملية سلبية تعمل كمنخل فقط بلا أهداف ,لذلك أضاف داروين اصطلاح آخر للانتخاب الطبيعي هو : المحافظة الطبيعية على الصفات المستجدة [2].

قاس داروين هذا الانتخاب الطبيعي الذي يؤدي الى ظهور انواع جديدة على الانتخاب الصناعي الذي يقوم به مربو الحيوانات لانتقاء السلالات الجيّدة , مثل انتاج خيولاً سريعة في مقابل جر العربات او ابقاراً مليئة بالدهن مقابل أبقار اللحم , لكن هذا القياس مضلل لأن الخيل تبقى خيل , فنوع الحيوان لا يتغير الى فيل مثلاً , وإن حدث تزاوج بين نوعين مختلفين من الحيوانات فإن النسل الهجين سيكون عقيماً مثل البغل الذي هو نتاج تزاوج فرسة مع حمار[3].

لم يحدث أن رأينا نوعاً يتحول الى نوع مختلف تماماً , فكيف يمكن للانتخاب الطبيعي أن يؤدي إلى انواع الكائنات العديدة التي تزخر بها الحياة ؟ آمن داروين أن الانتخاب الطبيعي يمتلك هذه القدرة , ففي النسخة الأولى من كتابه أصل الانواع كتب أنه لا يرى صعوبة في تحول الدب تدريجياً بالانتخاب الطبيعي ليصير حوتاً ! كان الرابط الذي وجده داروين بين

1عمرو طارق , الفيلم الوثائقي , معضلة داروين لغز الاحافير الكامبرية , ت عبد الرحمان بشارة , فيلم وثائقي من إنتاج مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية , الاردن 2014/10/10

2 المرجع نفسه

3 المرجع نفسه

هذين الكائنين أن الدب يسبح في المياه وفمه مفتوح ليلتقم فرائسه تماماً كما يفعل الحوت , لذلك ومع بعض التعديلات يمكن للدب أن يصبح أكثر مائية في بنيته وعاداته ليصير حوتاً[1].

الانفجار الكمبري :

يعتبر التدرج في انبثاق الكائنات الحية من بعضها البعض أحد أهم أعمدة التطور الداروينى تخيل داروين هذا الانبثاق على شكل شجرة العائلة التي تظهر قرابة الكائنات من بعضها وفقاً لتدرج تطورها من بعضها البعض , فمثلاً تطورت الثديات من الزواحف والتي تطورت بدورها من البرمائيات , والتي غادرت هي الاخرى المحيطات بعد تطورها من الاسماك , وهكذا نصل الى الكائنات ذات الخلية الواحدة هذه التغييرات لا تحدث فجأة , لذلك يستلزم وفقاً لهذه الفرضية أن نجد الآلاف من الحلقات الوسيطة (الانتقالية) التي تخبرنا عن مراحل تدرج الكائن من نوع لآخر حتى وصوله الى شكله المعروف الآن , فأين يمكن أن نجد هذه الحلقات الوسيطة[2].

الحفريات هي آثار وبقايا الكائنات الحية القديمة المحفوظة في الصخور الرسوبية , وأهم الحفريات بالنسبة للتطوريين هي الحفريات المتحجرة التي تتكون عندما تتسرب المياه التي تحتوي معادن مذابة لتختلط بالمادة العضوية لكائن كالعظام , حيث تعمل المياه والمعادن المذابة على تحجر البقايا الحية مع بقاء الشكل بدون تغيير , لذلك إذا اعتبرنا أن السجل الحفري عبر العصور الجيولوجية لكوكب الأرض هو المتحف الطبيعي الذي يسجل لنا تاريخ ظهور الكائنات الحية

1 بيتر هـ , ريفن و آخرون , علم الاحياء , مرجع سابق ص 128

2 المرجع نفسه, ص 130

منذ بدأت الحياة , فإننا نتوقع أن نجد فيه ضالتنا من الحلقات الوسيطة التي حفظت منذ ملايين السنين[1].

تم تقدير عمر كوكب الأرض بنحو **4.5 مليار عام** , و إذا تخيلنا أننا قمنا بضغط هذه المليارات الأربع ونصف الى يوم مكون من **24 ساعة** , فهل لنا أن نخمن متى بدأت الحياة بعد بداية اليوم ؟

بدأت الحياة منذ **3.5 مليار عام** أي مع دقات الساعة الرابعة صباحاً وكانت على هيئة كائنات أحادية الخلية , سادت هذه الكائنات وقتاً طويلاً وحدها , قبل أن تظهر الكائنات البدائية متعددة الخلية في وقت متأخر من اليوم نحو الساعة **6:30 مساءاً** ,ثم فجأة في الساعة التاسعة مساءاً أي منذ نحو **540 مليون سنة فقط** , وفي فترة زمنية لا تزيد عن **10 مليون سنة** أي ما يعادل دقيقتين , ظهرت الحيوانات معقدة التركيب لأول مرة على سطح الارض هذا الظهور المفاجئ لهذا التنوع الاحيائي المذهل كان من السرعة بحيث أنه كان أشبه بالانفجار .[2]

كان العصر الجيولوجي الذي حدث فيه الانفجار الأحيائي هو العصر الكمبري , لهذا سميت هذه الظاهرة بالانفجار الكمبري , وعلى إثر هذا الانفجار الكمبري ظهرت الشعب الرئيسية المتنوعة **–Phyla–** للملكة الحيوانية .

لم يكن المظهر الخارجي لهذه الكائنات مطابقاً للمجموعات الحديثة من الحيوانات كالحشرات والاسماك , والسحالي التي يخبرنا السجل الحفري بحداثة ظهورها على الارض , بل كانت كائنات العصر الكمبري أكثر بدائية من هذه المجموعات الحديثة , إلاّ أنها كانت تملك

1 المرجع السابق, ص 131

2 عمرو طارق , الفيلم الوثائقي معضلة داروين , مرجع سابق

الخصائص الرئيسية والمخططات الجسمية التي ستشكل المجموعات الحديثة التي ستأتي فيما بعد إذ كانت المرة الألى التي تظهر فيها الأعضاء البيولوجية المعقدة مثل الأعين المركبة والحبال الشوكية والأطراف المفصلية , وكأن أحداً قد وضع التصميم المبدئي لسيارة , ثم توالت التحسينات والتصميمات المختلفة للسيارة بعد[1].

كيف ظهرت هذه الكائنات فجأة ؟ كانت حيرة العلماء شديدة لأنه من المفترض وفقاً لداروين أن تظهر الحفريات التي تعود لما قبل العصر الكمبري حلقات وسيطة تعكس التدرج الذي حدث أثناء تطور هذه الكائنات , ولكن داروين نفسه فوجئ بأن هذا التنوع الضخم لا يسبقه تدرج , لذا نفترض أن السجل الحفري لم يكتمل بعد وأن المزيد من البحث كفيل بالعثور على اسلاف هذه الكائنات , واعترف بهذا القصور في نظريته في كتابه قائلاً :«ان عدد الانواع الوسطية –الذي سبق ووجد على الأرض – لابد أن يكون ضخماً ,لماذا لا نجد كل طبقة جيولوجية مليئة بهذه الحلقات الانتقالية ؟ إن الجيولوجيا لا تكشف لنا عن هذا التسلسل الحيوي التدريجي وهذا يعتبر من أوضح وأخطر الاعتراضات التي يمكن ان تثار حول نظريتي »[2]

بعد أكثر من قرن على نظرية داروين وعلى الرغم اكتشافات آلاف الحفريات , نجد البيولوجي **ريتشارد دوكنز** المناصر القوي لنظرية التطور يعلن أن الامر يبدو لو كانت كائنات العصر الكمبري زرعت هناك مباشرة بدون تاريخ تطوري تعطينا هذه المقولة فكرة عن أن معضلة داروين لم تزل مستغلقة على العلماء التطوريين .[3]

لكننا لا نعدم البعض الذي ينفي حدوث هذه الزيادة الحادة والمفاجئة في تعقيد الكائنات , فيفسرون عدم ظهور أية حلقات وسيطة في العصر ما قبل الكمبري , بأنه ربما كانت هذه

1 المرجع السابق, الفيلم الوثائقي

2 المرجع السابق, الفيلم الوثائقي

3المرجع السابق, الفيلم الوثائقي

الكائنات الوسطية بسيطة ورخوة للغاية لدرجة أنه كان من الصعب أن تحفظ وتكوّن حفريات من السهل دحض هذا الأمر لأن الكثير من الحفريات هي بالفعل لكائنات بسيطة ذات طبيعة رخوة ولينة , بل ان هناك حفريات تسبق العصر الكمبري بستين مليون سنة تعود لأجنة مجهرية لحيوانات بدائية كالإسفنجيات , فلماذا لا تقدر الصخور التي حفظت هذه الأجنة الرقيقة على حفظ الكائنات الوسطية التي تدرجت منها كائنات العصر الكمبري المعقدة ؟[1]

أما البعض الآخر فيعترف بسرعة الانفجار الكمبري ولكن هذه السرعة تؤدي الى تزايد نسبة الأكسجين على الارض مما ادى الى التسارع في ظهور الكائنات المعقدة , بمعنى آخر هو لا يجد السرعة متعارضة مع نظرية التطور لأن كل ما حدث هو أن نقص الأكسجين في العصر ما قبل الكمبري كان هو السبب في تباطؤ العملية التطورية وتقييد ظهور الحياة المعقدة , وبمجرد توفر الأكسجين وما يصاحب توفره من تغييرات , ثم فك القيد المكبّل للتطور .

إن زيادة الأكسجين قد تفسر التغير في الظروف التي مهدت للانفجار الكمبري ولكنها لا تفسر بأي حال كيفية حدوثه . ما هو المصدر الذي صمم هذه الكائنات المتنوعة وكان السبب في ظهورها ؟ كأنهم يؤكدون أن زراعة نبات ما تحتاج إلى تربة خصبة وتهوية مناسبة ثم يتجاهلون مصدر البذرة التي ستزرع .

كان داروين أميناً مع نفسه , إذ وضع يده على الخلل الذي يمكن أن يدمر نظريته و أورده في كتابه , وأمل داروين أن يكشف السجل الحفري اللثام عن لغز العصر الكمبري , إلاّ أن أمنيته لم تتحقق بالشكل الذي أراد حتى هذه اللحظة , ولا يزال العلماء التطوريون يعملون بدأب على حل معضلة داروين [2].

1. المرجع السابق , الفيلم الوثائقي

2. شمس الدين آق بلوت , داروين ونظرية التطور , مرجع سابق ص 32

المبحث الرابع : تأثير داروين في الفكر الحديث

من الواضح أن تصورنا للعالم وموقعنا فيه مع إطلالة القرن الحادي والعشرين يختلف بشدة عن الطابع العقلاني والأخلاقي والثقافي لبداية القرن التاسع عشر , بيد أنه لا يوجد اتفاق جماعي حول سبب هذا التغير الثوري فكثيراً ما ورد اسم "كارل ماركس " و برز اسم " سيقموند فرويد " وطرح "ابراهام پايس"كاتب سيرة " ألبرت آينشتاين " ادعاءه الحماسي بأن نظريات آينشتاين « غيرت تغييراً عميقاً طريقة تفكير الناس العصريين رجالاً ونساء حول ظواهر الطبيعة الجامدة » . ولكن پايس سرعان ما تبين له ما انطوى عليه قوله من مبالغة , فكتب قائلاً: «يجدر بنا في الواقع ان نقول العلماء العصريون بدل قولنا الرجال والنساء العصريون » لأن المرء بحاجة الى تعلم الأسلوب الفيزيائي للفكر والى التدرب على التقنيات الرياضية إذا ما أراد تقدير إسهامات آينشتاين بكمالها , وفي الحقيقة ان مثل هذا التقييد يصح على جميع النظريات الرائعة للفيزياء الحديثة التي لم تترك وقعاً كبيراً في طريقة فهم الانسان العادي للعالم من حوله [1].

يختلف الموقف إلى حد مثير فيما يخص مفاهيم البيولوجيا , فالعديد من الأفكار البيولوجية التي جرى طرحها في غضون السنوات المئة و خمسين المنصرمة , عارضت بقوة ما كان يعتبره جميع الناس صحيحاً بحيث تطلب قبول هذه الافكار ثورة إيديولوجية , ومن بين جميع البيولوجيون يتحمل تشارلز داروين القدر الاكبر من المسؤولية عن احداث أكثر التعديلات وأعمقها في النظرة السائدة لدى الناس العاديين .

1 Darwin a man , **a psychological** ,study of scientific creativity , second Edition , Howard E.Gurber university of Chicago press ,1981 ,p 121 .

لقد تعددت منجزات داروين وتنوعت بحيث صار من المفيد تمييز ثلاث مجالات قدم فيها اسهامات رئيسية وهي البيولوجيا التطورية وفلسفة العلوم والاتجاهات العقلية والثقافية والاخلاقية الحديثة [1].

أسس داروين فرعاً جديداً من علوم الحياة هو البيولوجيا التطورية , وحظيت أربعة من إسهاماته في البيولوجيا التطورية بأهمية خاصة , إذ تجاوز أثرها كثيراً حدود علوم الحياة , ويتمثل أول هذه الاسهامات في مبدأ عدم ثبات الأنواع أو المفهوم الحديث للتطور نفسه , أما الاسهام الثاني فيتمثل في فكرة التطور المتفرع التي تعني ضمناً التحدر المشترك لجميع أنواع الكائنات الحية على الأرض من أصل واحد فريد , فقد كانت جميع الاقتراحات التطورية حتى عام 1859 مثال ذلك ما اقترحه عالم الطبيعيات " لا مارك " تؤيد مبدأ التطور الخطي الذي يقول بالمسيرة الغرضية (الغائية) نحو الكمال الاكبر , وهو ما كان رائجاً منذ المفهوم الارسطوطاليسي عن سلم الارتقاء الطبيعي بمعنى سلسلة الوجود , فقد ذكر داروين أن التطور لا بد أن يكون متدرجاً من دون انقطاعات رئيسية , وانتهى داروين الى المحاججة بأن آلية التطور انما تمثلت بالانتقاء (**الانتخاب الطبيعي**) [2] .

لقد شكلت هذه التبصرات الاربعة قاعدة لتأسيس داروين فرعاً جديداً من فلسفة العلوم , هو فلسفة البيولوجيا , فعلى الرغم من مرور قرن من الزمن قبل أن يكتمل تطور هذا الفرع الجديد من فروع الفلسفة , فإن شكله النهائي يقوم على المفاهيم الداروينية , ويذكر ان داروين أدخل الجانب التاريخي الى صلب العلوم . فالبيولوجيا التطورية على النقيض من الفيزياء والكيمياء , فهي تعد علماً تاريخياً , بمعنى أن علماء التطور يحاولون شرح الأحداث و السيرورات التي سبق

1 Ibid. p 122

2 Charles Darwin, the **descent of man** , popular current prometheus, books, 1997, p 62.

أن حدثت في الماضي , فالقوانين و التجارب ليست تقنيات ملائمة لتفسير مثل هذه الأحداث و السيرورات , بل عوضاً عن ذلك ينبغي صياغة قصة تاريخية تشكل تصوراً مؤقتاً للسيناريو الخاص الذي قاد الى الاحداث التي نحاول تفسيرها [1] .

إن اكتشاف الانتقاء او (الانتخاب) الطبيعي من قبل داروين يجب ان يعد في حد ذاته انجازاً فلسفياً رائعاً , وقد بقي هذا المبدأ مجهولاً ما يقارب الالفي عام من تاريخ الفلسفة التي امتدت من عهد الاغريق حتى أيام **هيوم** و**كانت** والعصر الفيكتوري , وقد حظي مفهوم الانتقاء الطبيعي بقوة لافتة للنظر في تفسير التغييرات التوجيهية و التكيفية , أما طبيعته فإنها البساطة نفسها , اذ انه لا يمثل قوة ملزمة تشبه القوى الموصوفة في قوانين الفيزياء , بل إن آليته لا تتعدى استئصال الافراد المتدنين الأمر الذي حمل الفيلسوف **سپنسر** الذي عاصر داروين على وصف التطور بالعبارة الشائعة اليوم :« البقاء للأصلح » [2] .

ولطالما تعرض هذا الوصف للتهكم باعتباره استدلالاً حلقياً من مثل :« ومن هم الاصلح ؟ انهم اولئك الذين يتمكنون من البقيا وفي الحقيقة , ان التحليل المتأني يستطيع عموماً أن يحدد سبب اخفاق بعض الافراد بالعيش في ظل مجموعة معينة من الظروف ».

يتمثل الانجاز الحقيقي البارز لمبدأ الانتقاء الطبيعي في انه يستبعد اللجوء الى المسببات النهائية بمعنى أنه يستبعد ضرورة وجود قوى غائية تقود الى نهاية معينة , ففي الحقيقة لا شيء محدد سلفاً , وعلاوة على ذلك فقد يصل الأمر حتى الى امكانية تغير هدف الانتقاء من جيل الى آخر في حال تغير الظروف البيئية[3] .

1 Ibid. p 63

2 . شريف فهمي بدوي , معجم مصطلحات البيولوجيا , ط1,دار الكتاب المصري , القاهرة , 2000 , ص 94

3 .د تادرس منقر يوس , د عبد الحليم نصر , **أسس علم النبات** ,دار المعارف , (ب ط) , 1964,ص 72.

لقد كان داروين ذا نظرة شمولية , فبالنسبة اليه كان موضوع الانتقاء أو هدفه هو الفرد ككل , أما علماء الوراثة فقد آثروا منذ بداية عام 1900 تقريبا اعتماد النزعة الاختزالية واعتبار الجينة المورثة هي المستهدفة بالتطور , ولكنهم في السنوات الخمس و العشرين الماضية عادوا الى النظرية الداروينية التي تعتبر الفرد هو المستهدف الرئيسي[1].

وعلى مدى ثمانين عاماً بعد عام 1859 ثار تعارض مرير حول اعتبار أي من النظريات المتنافسة الاربع هي الصحيحة , فنظرية التطافر تتحدث عن تأسيس نوع حي جديد أو نمط جديد عبر طفرة مفردة أو انتقال قفزي , أما نظرية النشوء الوتيري فترى أن ما قاد الى التحول هو نزعات غائية داخلية , في حين استندت نظرية التطور اللامار كي إلى وراثة الخاصيات المكتبية, و الآن هناك نظرية التطور التبدلي الدارويني عبر الانتقاء الطبيعي , و برزت نظرية داروين بوضوح على أنها المنتصرة أثناء مرحلة الاصطناع (التركيب) التطوري في الاربعينيات من القرن العشرين حينما تزاوجت الاكتشافات الجديدة في علم الوراثة مع الملاحظات التصنيفية (التي تحتضن علم التصنيف) و يكاد يجمع اليوم التطوريون المرموقون على قبول الداروينية , و يضاف إلى ذلك أن الداروينية صارت مكونا أساسيا في الفلسفة الجديدة للبيولوجية.[2]

و هناك مبدأ يعدم الأهم في الفلسفة البيولوجية الحديثة ظل غير معروف إلى ما بعد مرور قرن تقريبا على نشر بحث داروين :حول أصل الأنواع , و يتمثل في الطبيعة المزدوجة للسيرورات البيولوجية . فهذه الفعاليات تحكمها القوانين الشاملة للفيزياء و الكيمياء , كما يحكمها أيضا

1. المرجع السابق, ص 73

2. Charles Darwin and the genesis, **one long argument,** modern evolutionary tough, Ernest mayes Harvard university press, 1993, p 102

برنامج جيني (هو نفسه نتيجة للانتقاء الطبيعي) صاغ النمط الوراثي على مدى ملايين الأجيال.[1]

و يعد العامل السببي لامتلاك البرنامج الجيني سمة فريدة للكائنات الحية و ينعدم كلية في العالم اللاحي , و لم يكن داروين يعي هذا العامل الاساسي , بسبب الحالة المتخلفة التي كانت عليها المعرفة الجزئية و الجينية في زمانه.[2]

و هناك جانب آخر للفلسفة الجديدة في البيولوجيا يتعلق بدور القوانين, فالقوانين تفسح المجال لمفاهيم في الداروينية , و في العلوم الفيزيائية عادة ما تبنى النظريات على القانون , فعلى سبيل المثال قادت قوانين الحركة إلى نظرية التثاقل, أما في البيولوجيا التطورية فغالبا ما تبنى النظريات على مفاهيم مثل التنافس و الاختيار الأنثوي و الانتقاء و التعاقب و السيادة , و لا يمكن اختزال هذه المفاهيم البيولوجية و النظريات المبنية عليها إلى قوانين العلوم الفيزيائية و نظرياتها .

لم يشرح داروين نفسه هذه الفكرة بوضوح قط , و إن تأكيدي أهمية داروين في الفكر الحديث يأتي نتيجة لتحليلي النظرية الداروينية على مدى القرن المنصرم , ففي هذه الفترة حدث تبدل واضح في منهجية(ميثودولوجيا) البيولوجيا , صحيح إن هذا التحول لم يسببه داروين حصرا , و لكن تعزز جدا بالاكتشافات المثمرة في البيولوجيا التطورية إذ غدت الملاحظة و المقارنة و التصنيف و كذلك اختبار القصص التاريخية المتنافسة, هي طرائق البيولوجيا التطورية , و فاقت بذلك الأسلوب التجريبي. [3]

1 .Ibid. p 103.

2 .Ibid. p 106.

3 .Charles Darwin, the **origan of species**, Ibid. p 35.

الفصل الثاني: نظرية التطور عند داروين و من قبله

المبحث الأول: نظرية التطور قبل داروين

المبحث الثاني: نظرية التطور عند داروين

المبحث الثالث: نظرية التطور بين العلم و الدين

المبحث الرابع: نظرية التطور بين مؤيد و معارض

الفصل الثاني

المبحث الاول : نظرية التطور قبل داروين

أفكار داروين كانت موجودة قبله (كفلسفة في الخلق) في الثقافات الهندية واليونانية والفارسية بل وحتى العربية , كما نوقشت كفرضية علمية في أوروبا أيام داروين ذاته خصوصاً من قبل عالم الاحياء الفرنسي " لا مارك " و الانجليزي " والاس " الذي أرسل مسودة أعماله لداروين لتقييمها دون أ يعلم من انتهاءه عليها [1].

أما المدهش فعلاً فهو ان ابن" خلدون " سبق داروين منذ خمسة قرون في الحديث عن تطور المخلوقات وتشعبها , بل وحتى احتمال وجود علاقة بين الانسان والقردة فقد قال مثلا في أول فصل من مقدمته المعروفة : «.... واعلم ارشدنا الله وإياك أن هذا العالم بما فيه من مخلوقات على هيئة الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات .... وعالم التكوين ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان بحيث يتصل آخر أفق المعادن بأول أفق النبات ويتصل آخر النبات بأول أفق الحيوان .... ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد لأن يصير أول أفق للذي بعده ..واتسع عالم الحيوان و تعددت أنواعه حتى انتهى الى الانسان صاحب الفكر و الروية , ترتفع اليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولكنه لم ينته الى الروية والفكر أول افق الانسان من بعده ..»[2].

ولكن ما لفت الانتباه الى أفكار " ابن خلدون " أن لكلمة « عالم القردة » في النص السابق حرفت في جميع الطبعات المتداولة في العصر الحاضر الى « عالم القدرة » بدليل وجود المعنى الأول في طبعة باريس التي وثقها المستشرق الفرنسي "كاترمير" و ظهرت عام 1858 قبل الطبعات المتداولة في العالم العربي , وبل وتوجد في الطبعة الفرنسية فصول و

1. اليانور كلايمر , **قصة الحلقة المفقودة** , ت محمد رشاد الطوبى , د ط , القاهرة , 1968 , ص 131 .
2.المرجع نفسه , ص 134.135

ثنايا وخواتيم محذوفة من الطبعة العربية , و في الفصل الخامس من الباب السادس يكرر "ابن خلدون " نفس المعنى السابق بخصوص تشعب و تطور المخلوقات حيث يقول : « ...والوجود كله في عوالمه البسيطة و المركبة على ترتيب طبيعي من أعلاها و أسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم و أن المخلوقات التي في آخر كل أفق مستعدة لأن تنقلب الى أعلى الذات التي تجاورها من الاسفل و الاعلى استعداداً طبيعياً . آخر أفق النبات و كما في الحلزون و الصدف من أفق الحيوان , وكما في القردة التي استجمع فيها الادراك مع الانسان صاحب الفكر و الروية .. وهذا الاستعداد الذي في جانب كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها...»[1].

و مثل هذه الفقرات تتكرر في مقدمة ابن خلدون وتشير في مجملها الى وجود سلسلة تطورية تصل بين الخلائق بين بحيث يتحول آخر أفق فيها إلى بداية خلق جديد و نوع مختلف .

كما يوجد أيضاً فلاسفة و علماء عرب _ غير أن ابن خلدون _ سبق داروين في القول بتطور الكائنات و نشوء الحياة من العدم[2].

فهناك مثلاً (ابن الطفيل) الذي عبر عن آرائه من خلال قصة اعطاها عنواناً ذا دلالة خاصة (حي بن يقظان) , ففي هذه القصة يذكر ابن الطفيل كيف خلق (حي) في بركة طين لزجة حيث تشكلت أعضاؤه أولاً من فقاعات طينية مختلفة ثم تجمعت في النهاية إنسانا كاملا .

أما اخوان الصفا (و هم جماعة تشبه سرية من الفلاسفة المسلمين في القرن الرابع هجري) تحدثوا عن تشكل الكواكب و تخلق الكائنات و تطور الانسان في مسائل تدعى

1. عبد الرحمن ابن خلدون , **المقدمة** , الطبعة الخاصة في خمس مجلدات ,خزانة ابن خلدون , الباب السادس , ص 225 .
2. المرجع نفسه .ص230.

ب " تحفة اخوان الصفا ". فعن خلق الكواكب يقولون«.....ثم تستقر الاجسام على الشكل الكروي الذي هو افضل الاشكال فكان منه عالم الافلاك و الكواكب ... و لما ترتبت هذه الاجسام كما اراد باريها دارت الافلاك بأبوابها و كواكبها , ثم تركبت على طول الزمان أنواع التراكيب او الخلاق فالنبات, و الانسان اصبح تركيبا من جميع الحيوان ....». أما ابن سينا فيقول في كتاب الاشارات و التنبيهات «....و ما يحدث في عالمنا , انما ينتج عنه بمعاضدة الافلاك و ما يبقى في الارض ووجد امتزاجاً تحصل منه المعادن , و ان وجد امتزاجا اكثر يحدث النبات , و ان وجد امتزاجا اعلى يحصل منه حيوان و ان وجد منه امتزاجا أحسن منه الانسان ....»[1].

و لو لوحظ هنا استعماله لكلمة " امتزاج " كمرادف ل «تفاعل كيميائي » يحصل بين عناصر الارض فينتج منه الكائنات الحية حتى ان وجد امتزاجا أحسن و أعدل يحدث منه الانسان .

داروين لم يكن هو أول من بحث في أصل الانواع و تطورها فعالم البيولوجيا الفرنسي لا مارك يقال انه اول من قدم تفسيرا كامل للتطور , و قد نشر مفهومه ذلك في نفس العام الذي ولد فيه داروين و كان لا مارك اول بيولوجي يكون حالة مقنعة لفكرة ان الحفريات هي بقايا حيوانات مندثرة و ليست كما قال البعض «حجارة صبغت مصادفة كتقليد لأشكال الكائنات الحية » ,كما قدم لا مارك تصوراً بسيطاً يفيد أن الكائنات في كفاحها للتكيّف مع البيئة تكتسب صفات تنتقل وراثياً الى نسلها , و أشار إلى طول عنق الزرافة كمثال على ذلك[2].

1.هبة خالد , دراسة في ميثولوجيا الخلق لدى المؤرخين المسلمين, رسالة ماجستير, جامعة النجاح, نابلس,فلسطين,2005 .

2. تشارلز داروين , **أصل الانواع** , مرجع سابق , ص 38

كما ولم يكن داروين هو الاول في طرح فكرة التطور , حيث نجد أن فكرة التطور قد تشعبت و تطورت في نفسها عند من سبقوا داروين من أمثال " سبنسر " , و الفرق بين "داروين" و "سبنسر " هو أن هذا الاخير رأى في التطور إ مكانية توسيع فكرة النمو في تعميمات كونية , بينما فهمها داروين على أنها تنتمي إلى علم البيولوجيا , وبالتالي تكون التحولية كما هي عند " سبنسر " مذهب أعم من النشوئية عند داروين , لأن التحولية تبتدئ كأنها تصور فلسفي عام يغلق كل الظواهر , بينما تظل النشوئية نظرية في التشكيل البيولوجي [1]

1. المرجع السابق, ص 40

المبحث الثاني : نظرية التطور عند داروين

نظرية التطور هي عملية تغيير في (السمات الوراثية) أي الصفات الجسمية المتوارثة للكائنات الحية , أو هي عملية تغيير في الشيفرة الوراثية .

"تشارلز داروين" هو عالم تاريخ طبيعي , بريطاني الجنسية , كان أول من قام بصياغة (محاججة علمية لنظرية التطور) في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي والتي تحدث بواسطة(الاصطفاء الطبيعي) و تستند على حقائق ثلاث ألا وهي :

1. النسل المنجب يأتي بأعداد كبيرة واعداد قليلة منه هي التي تنجو
2. تتباين السمات بين الافراد , وهذا يؤدي إلى تباين معدلات النجاة و القدرة على التكاثر
3. التشابه و الاختلاف في السمات هي بفعل متوارث[1]

فقدرة الوالدين في النجاة و التكيف مع الحياة و التكاثر اكثر من قدرة الابناء , حيث يموت بعضهم و يرث الآخرين قدرة الوالدين على التكيف , فالاصطفاء الطبيعي هو المسبب الوحيد لهذه العملية و عرف (بالتكيف) لكنه ليس مسبباً للتطور الذي تسببه الطفرات و الانحراف الجيني .

الفكرة التي على أساسها نشأت نظرية التطور الحديثة هي أن جميع الكائنات الحية نشأت تدريجياً من خلية واحدة , و كان للمصادفة و توافر بعض الشروط الفيزيائية من هواء و حرارة و رطوبة ... أدت الى تكاثر تلك الخلايا ليتولد عنها سلسلة من المخلوقات من نباتات و حيوانات و انسان , و من هنا لاحظ داروين هذا التشابه بين الكائنات الحية [2]

---

1. مجدي عبد الحافظ , **فكرة التطور عند فلاسفة الاسلام** , ت هدى كشرود , ط1, المشروع القومي للترجمة, القاهرة ,مصر, 2005, ص 202
2. المرجع نفسه , ص 203

أشار داروين بشكل مباشر الى أصل الانسان و هو قرد , وعلل ذلك الأمر بأن جميع المخلوقات توالدت من بعضها البعض مع مرور السنين بفعل التطور الطبيعي , فنظرية داروين للتطور هي نظرية (بيولوجية) تقوم بتوفير شروحات التنوع في الكائنات الحية وهي عبارة عن محاولة تفسير و ليست حقيقة علمية قد تم اثباتها , لأنها تفتقد لحقيقة التطور للكائنات الحية و خاصة الانسان .

ان اساس نظرية التطور لداروين تقوم على أن أصل الانسان يرجع الى القرد حيث حدثت عدة تطورات متسلسلة , أدت لتشكيل صورة الانسان الحالية مبيناً داروين في نظريته هذه كل العوامل التي أدت لتطور القرد حتى أصبح انساناً :

تدعي النظرية على أن خلية الأميبيا هي بداية جميع المخلوقات حيث تكونت الأميبيا من تجمع جزئيات البروتين مع عناصر أخرى , و نتيجة للعوامل و الظروف المناخية و البيئية مثل الامطار و الصواعق و الحرارة و الرعد , تجمعت جميعها في هذه الخلية , حيث كونت من ما يسمى بالحساء العضوي , و تكون جزء البروتين من فعل تجمع الاحماض الامينية اذ ارتبطت بمجموعة روابط منها أمينية هيدروجينية و كبريتية مختلفة فيما بينها , و أيضا لعبت العوامل البيئية و المناخية دورها في تشكيل البروتين

و تكونت الاحماض الأمينية من اتحاد كل العناصر (الاكسجين , النتروجين , الكربون الهيدروجين .)[1]

أخذت الخلية الاولى بالانقسام حيث تطورت فأصبحت مخلوقات من خليتين , ثم تحولت الى مخلوقات ذات خلايا متعددة , فأدى ذلك لظهور أنواع الحشرات , و الحيوانات بجميع أشكالها , و الزواحف أيضاً و من ثم الثديات و منها الانسان , و بالتالي فإن بعض

1. المرجع السابق , ص 208

الأجزاء من هذه الخلية قد انقسم و تطور الى ان اصبح من الطحالب و الاعشاب , و من أنواع الخمائر و نباتات زهرية و لا زهرية.

و إن أغلب البشر يعود أصلهم الى القرود , فمنهم يتدرجون بحسب أصلهم الحيواني الى ست عشر مرتبة , يأتي في أسفل السلسلة كل من الزنوج , الهنود , الماوين , العرب , و يأتي في المرتبة الثانية التي تحمل الرقم عشرة الآريون , أما في المرتبة الخامسة و السادسة فيأتي البيض و هم الأوروبيون و هم في أعلى المراتب .

و هناك المرتبة الأكبر و التي تعد الأعلى , حيث تأتي بعد السادسة اذ انطوت بشكل اسرع , و تمتاز بإبداعها و تفوقها عن صنف البشر , حيث تدعى (بالجنس الخارق) من حيث التحضر و المدنية و الترتيب و أيضاً التنظيم و التخطيط و هي ما تمثل الجنس اليهودي[1].

تلك كانت نظرية داروين التي جاءت ضمن كتابي داروين (أصل الانواع) و (ظهور الانسان) التي تحاول البرهان على أن الانسان لم يخلق و إنما قد خضع لعوامل التطور من صورته كقرد , ماراً بذلك عبر تسلسل الاجناس البشرية .

نظرية التطور بمختصر الكلام هي أن الكائنات الحية جميعاً و من دون استثناء نتجت و تطورت عن الكائن الأحادي الخلية , و هذا الأمر لم يتم بين ليلة وضحاها , بل عبر ملايين السنين , و نتج ذلك عبر انشطار البكتيريا و تكاثرها ملايين المرات , و تهيئة الظروف الموضوعية لهذه البكتيريا لتشكل و تكون هذا الكائن الاحادي الخلية , و منه نتجت جميع الكائنات الحية و منها نحن البشر .

1. كارل بوبر , **بحثا عن عالم افضل** , ت احمد مستجير , د ط , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ص 120,

أسهل طريقة لمعرفة كيف حدث التطور هي بتخيل شجرة كل بضعة سنين تتفرع لفرع وهذا الفرع بدوره يتفرع لأفرع أخرى, و في آخر هذه الشجرة من الأعلى نكون نحن الحيوانات جميعاً من بشر بأنواعنا, لقردة بأنواعها للطيور بأنواعها...الخ , و في الساق لهذه الشجرة يوجد بكتيريا[1].

التطور عند داروين ليس معناه أن الكائن الذي يعتلي درجة على سلم التطور أفضل من الكائن الذي يليه , فكل شيء يخضع للنسبية , مثلاً الفهد لديه قدمان أقوى و أسرع من قدمي البشر , القطة لديها جهاز مناعي اقوى بكثير من جهازنا البشري و تطور فيروس –مثل انفلونزا الطيور أو غيره – قادراً على أن يفني الجنس البشري , و تبقى الكائنات (الحيوانات) ذات الجهاز المناعي القوي .

و بالمقابل فإن البشر طوروا عقلهم و القدرات الابداعية لديهم , و بذلك يكونون متفوقين على باقي الكائنات بالذكاء فقط[2].

1.المرجع السابق, ص 123

2.المرجع السابق, ص 126

المبحث الثالث: نظرية التطور بين العلم و الدين.

العلم و الدين وجهان لعملة واحدة , فالإيمان يؤدي الى العلم لأن العديد من الآيات و الأحاديث تحث على طلب العلم بل و تجعله فريضة على الجنسين الآدميين , و العلم يؤدي الى الايمان لأن التأمل في الكون و مخلوقاته تأملاً علمياً ينتهي بنتيجة حتمية أن للكون صانعاً حكيماً.

الاعجاز العلمي هو ثمرة التزاوج بين العلم , فجميع الاكتشافات العلمية الحديثة في مختلف المجالات فقد سبق الاسلام اليها – قرآنا و حديثاً – منذ قرون عديدة , أما في الآونة الاخيرة فمعظم الباحثين المتخصصين في شتى العلوم الكونية يبحثون عن تفسير علمي لبعض الآيات و الأحاديث النبوية ليصير هاذين الأخيرين مؤخراً مصدر بعض الاكتشافات , كما أن انكار الاعجاز العلمي من طرف شريحة من المجتمع يولد عجزاً وضعفا عندهم في فهم جوهر الحقيقة و في استيعاب عظمة الخالق , و هي أن جميع القوانين و النواميس التي يسير بها الكون و موجوداته جد منتظمة و دقيقة الى درجة لا يمكن تصورها و أن أصلها واحد[1].

يعتبر أصل الانسان و تطوره من المواضيع التي أولى علماء الغرب لها أهمية بالغة , أما بالنسبة للمسلمين فيعتبر من المواضيع المستعصية الفهم و خصوصاً أن النظرة العلمية لتطور الانسان تتناقض مع النظرة الدينية , و يستعصي الأمر أكثر على أكثر على كل مسلم متتبع للأحداث العلمية مع تجرده من العاطفة الدينية و اعمال العقل في محاولة البحث عن مخرج و في محاولة التوفيق بين العلم و الدين .

1.زغلول راغب محمد النجار ,**من آيات الاعجاز العلمي**,ط1 , دار المعرفة ,2007 , ص 330

أصل الأنسان و تطوره من الناحية الدينية :

﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ العنكبوت 20 .

هكذا يأمرنا الله تعالى بالبحث عن كيفية بدأ الخلق , سواء تعلق الأمر بخلق الكون النبات أو الحيوان أو خلق الانسان , و ما نفهمه من الآية أيضاً أن لجميع الموجودات والمخلوقات بدايته .

نقطة بداية خلق الانسان لدى كافة المسلمين تعد من الامور المحسوسة و من البديهيات على عكس الغرب الذي ينفق أموالاً طائلة للبحث عن أصل الانسان الى يومنا هذا , أما نحن المسلمين فقد وجدنا بداية خلق الانسان في القرآن دون الحاجة الى هدر الاموال[1] ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾ السجدة 7.

و الطين علم الترسبات عبارة عن حبيبات يتراوح قطرها بين 0.02 ملم و 0.002 ملم وبالتالي فهي غالباً أصغر أنواع الحبيبات مشكلة من حيث مختلف انواع الصخور مع وجود نسبة مهمة من الماء في الطين , كما أن عدداً من العناصر و المركبات الغير عضوية التي يتكون منها جسد الانسان مثل : الكالسيوم , الفوسفور , الكبريت , البوتاسيوم , الكلور ...الخ موجودة في الطين , اضافة الى احتوائه العناصر الاربعة الرئيسية للحياة على الأرض «التراب , الهواء , الماء , الحرارة »[2] .

أما كيفية خلق أول انسان " آدم " من الطين تعد من الأمور الغيبية التي نجعلها و يصعب الخوض فيها نظراً لعدم وجود آيات و أحاديث صريحة ﴿ و لا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الاسراء 26 .

1.زغلول راغب النجار ,**من آيات الاعجاز العلمي** ,مرجع سابق , ص 335 .

2.احمد بود وهان ,**الاعجاز العلمي في القرآن و مستقبل الاسلام** ,ط1 طوب بريس , 2003 , ص 99

بعد خلق آدم و بطريقة لا جنسية خلقت منه زوجته حواء , ويشبه هذا الخلق عملية تكاثر بعض الكائنات المجهرية و التي يصطلح عليه ب « التبرعم » مع وجود اختلاف طفيف , بعدها الانتقال من التكاثر اللاجنسي الى التوالد الجنسي بين آدم و حواء لإعمار الارض و استخلافها , يلخص الحديث الآتي تطور النوع الانساني منذ خلق آدم :« خلق الله آدم على صورته , طوله ستون ذراعاً , فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة الجلوس , فاستمع ما يحيونك , فإنها تحيتك و تحية ذريتك فقال : السلام عليكم , فقالوا : السلام عليك ورحمة الله , فزادوه ورحمة الله , فكل من يدخل الجنة على صورة آدم , فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن »[1]

نفرض الحديث للتنكيل و الاقصاء من قبل بعض " المتكلمين "و " الكتاب" لأنه لا يقبل العقل و المنطق تصور انسان بطول 28 متراً .

ان المنهج الاسلامي في البحث عن الحقيقة و العلم يعتمد على المنهج الاستقصائي بمن هم أعلم منا و أكثر اختصاصاً في مجال معين , يقول الله تعالى :﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ الانبياء 7 . علم الحديث له أهله و قد أثبتوا صحة الحديث المذكور أعلاه.

خلق آدم على صورته أي لم يتعرض لمراحل انتقالية أثناء خلقه من الطين بل خلقه الله مباشرة على هيئته , يقول " اندريه لانغاني " العالم بالوراثة و الاختصاصي بالشعوب و أحد الأوائل الذي طبقوا المناهج الحديثة للبيولوجيا على فهم الماضي « لفترة طويلة نوعاً ما و هو أمر تثبته دلائل أخرى , عادة كما كان النوع كبيراً في الحجم كانت اعداده صغيرة ...و قد

1. صحيح البخاري, كتاب الاستئذان, باب بدء السلام, رقم الحديث 6227.

تبع البشر قاعدة الرئيسيات الكبيرة فقد كانوا قليلي العدد »[1] يتضح مما قاله اندريه أن آدم بالفعل كان طوله كبير لأن الجنس البشري كان قليل العدد في البداية .

أصل الانسان و تطوره من منظور علمي :

في البداية 1859 نشر تشارلز داروين كتاباً يعتبر من الكتب الأكثر اثارة للجدل انه « اصل الانواع » الذي يفسر كيفية تطور جميع الكائنات المنقرضة و الحية بما فيها الانسان من خلية بدائية واحدة , عن الكتاب ظهور نظرية التطور في خمسة عوامل طبيعية كانت السبب في نشوء الانواع و ظهور الانسان من أصل حيواني " الوراثة , التحول , التوالد , التناحر على البقاء , البقاء للأصلح "[2].

داروين لم يقل أبداً ان أصل الانسان قرد , لكن بعض الفلاسفة الماديين أمثال " فريديريك انجلز " , انحرفوا عن سياق النظرية و جعلوا من القرد أصلاً للإنسان , فكتب مقالة بعنوان « دور العمل في تحول القرد الى انسان »[3] .

فما كان من اعداد هؤلاء الفلاسفة الماديين الاّ أن يتهموا الاب الروحي لنظرية التطور بجعل القرد أصلاً للإنسان دون البحث عن الحقيقة و التبيان .

نظرية التطور لداروين تقول أن الانسان و الشمبانزي ينحدران من سلالة مشتركة لم يحددها داروين , كما أن الدراسات الفيزيولوجية و البيو كيميائية و السلوكية أثبتت التقارب الكبير بين الانسان و الشمبانزي من جهة [4] و من جهة أخرى أثبتت الدراسات التقارب

1 . اندريه لانغاني و آخرون , **اجمل تاريخ للإنسان ,كيف اصبحت الارض بشرية** , دط , أكاديميا , 2010 , ص 40.

2.تشارلز داروين , **أصل الانواع** , مرجع سابق , ص 26.

3. فريديريك انجلز , **ديالكتيك الطبيعة** ,ت توفيق سلوم , ط2 , دار الفارابي , 2011 , ص 194 .

4 .Jean jacques ; **HUBLIN ;** l'evoulition de la vie ; FLAMMARION ; 1981 ; p 282.

الصبغي بين النوعين مما يؤكد وجود أصل مشترك بينهما [1] على ضوء هذه الدراسات اعتقد العلماء بالفعل أن النوعين ينحدران من سلالة مشتركة و هكذا نشأ الانسان حسب العلم

ما يعاب على نظرية التطور تلك الصور المسيئة لأسلافنا من البشر نظراً لاعتقادهم بأصل الانسان الحيواني , يتخيل العلماء أن اشكال البشر الأوائل كان أقرب الى القردة من حيث الهيئة و الشكل , فسيكون في رسوماتهم التحليلية الغير علمية , جسدهم بالشعر الكثيف و يجعلون من هيئتهم الغير مستوية في البداية الى ان تصير منتصبة في النهاية مع ظهور الانسان المنتصب , حتى أن أدلتهم في شرح التغير الحاصل في شكل و هيئة الانسان أثناء تطوره أدلة غير مقنعة ان لم نقل انها مجرد خرافات علمية [2].

فيعزى العلماء التطوريون في نقصان كثافة الشعر و تغيير شكل الجمجمة الى تغير نمط الحركة عند الانسان (من المشي في الادغال الكثيفة الى الجري في السهول الشاسعة)[3].

تختلف مع نظرية التطور العلمية في أصل الانسان الحيواني , لكن يمكن أن يكون للإنسان و باقي الكائنات الاخرى و ليس الشمبانزي فقط , نفس الاصل المشترك و هو الماء . ﴿ و جعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ الانبياء 30 , لذلك نرى أن جميع الكائنات لها نفس مكونات الخلايا و تختلف من حيث عدد الصبغيات و الجينات , تكمن قوة النظرية في الشواهد الحسية التي تدعمها بقايا الهياكل العظمية التي وجدها علماء الآثار المسلمون و الغير مسلمون والتي تثبت قصر طول الانسان على عكس النظرية الدينية [4]

1 .Jean chaine ; **PALEONTOLOGIE ;** pumod ; 1987 ; p 149.

2 .Science et vie N° 235 (HORE SERIE) la nouvelle histoire des hommes ; dispary ; p 136.

3 .Ibid. p 137.

4 .Ibid. p 139.

المبحث الرابع: نظرية التطور بين مؤيد و معارض

لا توجد نظرية في العصر الحديث أثرت على حياة البشرية مثلما فعلت نظرية التطور فقد بينت على أساسها نظم اجتماعية و نظريات سياسية و اتجاهات اقتصادية.

نظرية يتحمس المؤيدين لها للدفاع عنها و كأنها عقيدتهم الدينية وبنيت حياتهم على أساسها, و نظرية يعارضها المؤمنون لأنها تصطدم مع عقيدتهم في النشأة و الخلق.

مؤيدي نظرية التطور:

تقول نظرية التطور و المؤيدون لها " أن الحياة نشأت على الأرض بفعل عوامل طبيعية و كيميائية بحتة نشأ عنها الكتلة البروتوبلازمية الأولى و التي منها نشأت جميع الكائنات الحية على الأرض , وأن هذه النشأة حدثت بالصدفة و العشوائية البحتة , وأن الحياة نشأت على الأرض بدائية بسيطة ثم تطورت بفعل العوامل المادية و الانتخاب الطبيعي الى أن أنشأت الانسان العاقل "

حيث أن نظرية التطور نظرية فلسفية فقد شغلت النظرية نشأة الحياة و ظهورها على الأرض عقول الكثيرين[1]

قال " اراسموس داروين (1731-1802 م) جد كارلوس داروين ":

ان الاحياء تكتسب صفات معينة أثناء تكيفها مع البيئة , و تنتقل هذه الصفات الى الاجيال التالية عن طريق الوراثة , فمثلا تكتسب بعض الحيوانات المتعرضة للصدمات و للجروح جلوداً تشبه الدروع ثم تنتقل هذه الصفة الى أنسالها .

1. علي الشحات , **نظرية التطور بين العلم والدين** , دط , مؤسسة الخانجي , القاهرة , ص 142 .

قال " لا مارك "(1744-1829م): ان حاجات الكائن الحي هي العامل الأول في التطور فمثلاً اعتبر محاولة الزرافة الوصول الى أوراق الأشجار العالية هي السبب في وجود زرافات برقاب طويلة .

أما " سوانتا أوغست إيرنيوس " (1859 -1927م) : قال أن « الكائنات الحية المجهرية توجد في فضاء الكون منذ الأزل , وأن هذه الكائنات المجهرية عندما تستقر على أحد الكواكب فإنها تتحول الى مختلف انواع الكائنات الحية بفعل عوامل التطور »

قال " دو بزانسكي " (1900-1975م) وهو من أشهر التطوريين الروس , حيث يرى ان العملية التي تقود تطوير الاعضاء الحية بشكل تدريجي و على مراحل من أجل التكيف بصورة افضل للبيئة انما هو عملية خلاقة و لكنها خالية من الشعور[1]

كما قال أيضا أحد التطوريين :« ان الاستراتيجيات و الخطط التي تطورها الكائنات الحية في صراعها مع الصدف و مع البيئة هي نفسها وليدة الصدف و البيئة , و بهذه الصورة استطاع الانتخاب الطبيعي استخراج ملامح غائبة من حوادث عشوائية لا غاية لها و خلق اعضاء معقدة لأنواع من الكائنات , تبدو و كأنها متلائمة مع محيطها حسب خطة مدروسة و موضوعية بعناية , و لكن هذه الأعضاء و هذه الانواع استطاعت أحياناً تجاوز و تخطي حدود و وظائفها , فاستطاعت زعنفة أن تنقلب الى يد , و ذراع الى جناح أو الى يد فنان , و استطاع نظام للأعصاب أن ينقلب الى دماغ يتكلم و يبحث و يشعر بالسعادة و الندم[2].

1. المرجع السابق, ص 144.
2. المرجع السابق, ص 146.

أدلة المعارضة لنظرية التطور:

سبق و أن قلنا أنه لا توجد نظرية في التاريخ البشري أثرت في الحياة البشرية مثلما أثرت نظرية التطور, و لكن أيضاً لا توجد نظرية عرفتها البشرية تعرضت للنقد و الهدم مثلما تعرضت له نظرية التطور.

يقول التطوريون العقليون :« أن الكون وجد بدون موجود و أنه لا يوجد أدلة على ذلك و ليس بالضرورة أن يكون للكون موجد طالما هو موجود »

قال أعرابي بسيط :« البعرة تدل على البعير ... والقدم تدل على المسير....اسماء ذات ابراج , وارض ذات افجاج أما تدل على اللطيف الخبير » هذا دليل عقلي على أن لكل فعل فاعل و أن الفعل يتناسب مع فاعله قوة و ضعفاً و أثراً فإذا كانت البعرة تدل على البعير و القدم تدل على المسير فماذا تدل تلك الابراج في السموات و المجرات و الكواكب و النجوم ؟ عقلاً: تدل على حكمة بالغة و تدبيرا عظيما و خالق مبدع.

قال العالم " لورين إيسلي" « لو أن المادة الميتة أي الطبيعة قد أنشأت المناظر العجيبة للصراصير العازفة , و العصافير الشادية , و البشر المفكرون فيجب أن يكون واضحاً لأكثر الطبيعيين تعصباً أن تلك المادة (الخالقة) التي تتكلم عنها تنطوي على قوى مذهلة ان لم تكن مروعة »[1] , بمعنى أنه هل يعقل أن الطبيعة الصماء بالصدفة و العشوائية تستطيع خلق الصراصير التي تعزف الاصوات الجميلة باحتكاك جناحها بأرجلها , و العصافير التي تعزف أعذب الألحان و أجملها و البشر المفكرين ثم يستنتج عقلاً أن تلك المادة لا بد أن تكون عاقلة و قوية و مذهلة و مروعة , أي أن في الخلق حكمة و تدبير و علم و ابداع .

1. شمس الدين آق بلوت , **داروين و نظرية التطور** , مرجع سابق , ص 105 .

كما يقول" داروين " نفسه متناقضاً مع نظريته : « ان الصدفة لا تستطيع بأي حال من الاحوال أن تفسر الاختلافات الكثيرة الموجودة بين أنواع الصنف الواحد و الاختلافات بين مجموعات النوع الواحد » اذ كيف للصدفة و العشوائية أن تفسر الاختلاف بين أنواع نبات التين مثلا من تين براق الى تين مطاط , و تين بنغال و بين أجناس نبات العائلة البقولية مثلاً , أو انواع نبات النخيل و أصنافه و اختلاف أكله

كما يقول التطوريون : « ان التغييرات الخارجية كالكوارث هي التي تصنع التغير و التطور و التحسين »

حسب نظرية الكوارث فإن حوادث المرور نفسها بدون تدخل الانسان هي التي تحسن نوع السيارات , هذه أدلة عقلية على فكرة أن الكوارث هي التي تطور الحياة .

يقول داروين : « ان الاشياء الغير مخلوقة لحكمة و أنها نشأت صدفة و بعشوائية تامة » لكن يرد عليهم العقلانيون بقولهم أن هذه خرافة عقلية , اذ لو كان الأمر كذلك ما كان التفاح شكله جميلا و جذاباً , و لو كان التفاح غير مخلوق للإنسان لاكتفى التفاح بعمل بذورها ووضعها في غلاف سميك ثم تقع البذور على الارض بحركة الرياح و تنبت من جديد كما هو الحال في شجرة الصنوبر و شجرة أبو المكارم , بمعنى أن التفاح خلق للإنسان و ليس صدفة و عشوائية كما يقول داروين[1]

1. المرجع السابق, ص 107.

الفصل الثالث

المبحث الأول: الطرح القرآني لنظرية التطور

من اللافت للنظر ان الله سبحانه و تعالى حينما يصف ظاهرة كونية أو حقيقة علمية هو بذلك يقوم باستدراج العقل البشري بالتدبر فيها, و ثم يستطيع العقل ان يتزود بتلك المواصفات, و ذلك بطرح الحقيقة بكلمات مختصرة جداً, و لكنها منتقاة من اللغة العربية بحكمة بالغة, مما يوحي بأبعاد عميقة جداً تقوم باستفزاز العقل البشري و نثير الفضول, و هكذا كانت سورة "الانسان" .

بدأت سورة الانسان بآيات مدهشة, لو عرف الانسان ابعاد مدلولاتها التي لا يعلمها الا الله عز و جل لربما تغير مسار البشرية جمعاء, قال تعالى:﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ (الآية 1 من سورة الانسان) بكلمة "حين" في اللغة تعني الفترة الزمنية المحددة التي يمكن الانسان, لكن كلمة "الدهر" و التي وردت في القرآن مرتين فقط لها أكثر من معنى: الدهر و هو القهر و القسوة, و حين تستعمل كلمة "دهر" في موضع الزمن فتعني الزمن القاهر القاسي, فالدهر يعتبر أيضاً الزمان بمعناه المطلق, اذ أن هناك زمنا يمكن للانسان ان يقيسه بالليل و النهار, لذلك كانت عقيدة المشركين حينما رفضوا قضية البعث بعد الموت[1]لقوله عز و جل:﴿و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر و مالهم بذلك من علم و ان هم الا يظنون﴾24 الجاثية .

بمعنى ان الطبيعة هي التي اوجدتنا, فكأن الله عز و جل لا يسألنا «هل يا ترى اتى على الانسان ..» بل هو يخبرنا ان الانسان قد وجد حينا من الدهر في زمان فاهر و قاس لم يكن بوسعه قياسه أو فهمه, و لم يكن له حينذاك دور في الوجود, فمتى كان هذا الحين من الدهر الذي كان للانسان فيه قيمة تذكر؟.

1.عماد محمد بابكر حسن, آذان الانعام ,ط1, دار عزة للنشر, الخرطوم,2007,ص 32

اذا افترضنا ان الانسان وجد في عصر آدم كما يفهم علماء الدين فان آدم عليه السلام كان نبيا مصطفى لقوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم و نوحا و ءال إبراهيم و ءال عمران على العلمين﴾33آل عمران. اذ من غير المعقول ان يكون ادم المصطفى و جيله و ذريته الاولى غير جديرين بالذكر.[1]

المنطق نفسه ينطبق على ذرية آدم, اذ أن التكليف بالخلافة امر متوارث لكل الانسانية الى اخر الجنس البشري, و لا يعقل أن يجعل الله خليفة في الارض لا يستحق الذكر علماً بأن بني آدم ما تركوا من غير نبي او رسول على مر العصور, منذ عصر آدم الى خاتم الانبياء و المرسلين, كما في قوله عز و جل:﴿إنا ارسلناك بالحق بشيراً و نذيراً و إن من أمة الا خلا فيها نذير﴾24 فاطر.

فاذا كانت الآية الاولى هذه تلمح الى عملية تطور نقلت الانسان _بوصفه جنسا من المخلوقات_ من دهر لم يكن فيه قيمة الى زمن اصبح فيه خليفة لله في الارض, فان سورة الانسان ذلك المجهول تستمر في وصف جوانب اخرى من جوانب تطور الانسان اكثر وضوحا و صراحة, و هي قضية تطور الانسان الفرد من عناصره الاولية الى بشر[2],قال تعالى:﴿انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾2 الانسان .

و لما كان السمع و البصر صفات يشترك فيها الانسان مع كثير من الحيوانات الغير عاقلة و الغير مكلفة, فقد اكمل الله تعالى مراحل تطور الانسان بمنحه العقل موضع التكليف ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفوراً﴾3 الانسان, فكأن الله في هذه الآيات الثلاث يطوي بكلمات سريعة جداً ثلاثة أشكال من التطور مر بها الانسان, فقد وجد الانسان مخلوقا غير جدير بالذكر في زمان قاهر, فحافظ الله تعالى على وجوده بتطور داخلي مستمر في تركيبه البيولوجي اذ أن "النطفة" هي قطرة الماء , و "الامشاج "تعني

1. المرجع السابق, ص 33
2. المرجع السابق, ص34

المتداخلات, و بذلك حافظ الله تعالى ايضاً على استمرار وجود الانسان بتطوير صفاته الوراثية الى ان منحه الله العقل, و دخل الطور الاخير من رحلة التطور و هي مرحلة التكليف و الخلافة.

و من المواقع المثيرة للفضول و التدبر ايضاً ربط الله_ سبحانه و تعالى_ لمفهوم التطور يقوم نوح عليه السلام لقوله تعالى:﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً ﴾ 13-14نوح.

من المعروف أن سيدنا نوح عليه السلام هو ابو البشرية الثاني بعد آدم, اذ أن الله أغرق كل من لم يتبع نوحاً, و لم ينج الا من ركب معه في الفلك ثم جعل الله ذرية نوح فقط هي الباقية من بين من ركبوا معه في الفلك[1],﴿و جعلنا ذريته هم الباقين﴾77 الصافات.

فالبشرية اليوم تنحدر من ذرية سام و حام و جافث, أبناء نوح الثلاثة باتفاق اليهود و النصارى و المسلمين ثم ان سيدنا نوح عاش بعد آدم بحوالي عشرة أجيال كما ورد في الانجيل, الامر الذي يجعله و قومه اقرب الى عصر آدم من عصرنا.

فاذا كان آدم يمثل طوراً أساسيا في وجود البشرية, فان نوحاً يمثل طورا لا يقل أهمية و هو امتداد البشرية بعد ان انقرض كل من كان في الارض من البشر سوى ذرية نوح.

خاطب نوح قومه بآية أخرى من آيات التطور و اصل الخلق الغامض, ﴿و الله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها و يخرجكم اخراجاً﴾17-18نوح . الفهم المتعارف عليه ان "انبتكم" هنا تعبير مجازي لتقريب المعنى, هو أننا خلقنا من طين الارض, و لكن المجاز لا يؤكد بمجاز آخر في اللغة, التكرار في «انبتكم من الارض نباتا» لا يفيد الا التأكيد على أن الانسان خرج من الارض اول مرة تماماً كما تنبت النباتات, ثم تطورت الى مخلوقات مختلفة؟. الافتراض ان معنى الانبات هنا ليس الا معنى مجازيا يحتاج اولا الى دليل نقلي ثابت

1.المرجع السابق, ص 35

عن الرسول صلى الله عليه و سلم او نص آخر من القرآن يفيد ان المعنى هنا مجازيا و ليس المقصود ان اصل الانسان و الحيوان و النبات واحد, و لكننا لم نجد في بحثنا في القرآن الا ما يؤكد هذا الفهم من وجوه عديدة جداً[1].

إن هذه الآية وحدها تكفي لتأكيد مصداقية نظرية داروين, من المنطقي جداً أن التأويل المجازي يفترض حينما يكون المعنى الظاهري للآية غامضاً و غريباً, لو قيل للعرب مثلا قبل الف عام ان الشمس تساوي أكثر من ثلاثمائة الف مرة من كتلة الارض, و لكنه ما كان لهم أن يستوعبوا أن الشمس التي تبدو في حجم قبضة اليد الواحدة تساوي هذا الحجم الهائل, هذا الفهم المجازي يكون مقبولا الى ان يثبت علميا ان كتلة الشمس حقيقة تساوي اكثر من ثلاثمائة كتلة الارض, و حينها يبطل الفهم المجازي, اذا تطرقنا الى آية نوح لذات المنظور, فإننا نقبل أن التأويل المجازي لمفهوم «أنبتكم من الارض نباتا» لم يكن ليعني للمفسرين في عصر السلف أي شيء غير المعنى المجازي, و هو أننا نأكل مما يخرج من الارض و نموت و ندفن في الارض.

و يدهشنا القرآن مرة أخرى و هو يتناول قضية تطور الانسان, تناول الخالق الذي يعلم سر الخلق و ليس تناول الذي يبحث و يفترض فقط, اذ يقول الله تعالى في سورة الانعام[2]:﴿و ربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم ءاخرين ﴾133 الانعام, هذه الآية لا تخاطب جيلاً بعينه أو فئة دون فئة, و لكنها تحذير من الخالق لكل الانسانية, اذ أنه خاطب في الآيات السابقة لها معشر الانس و الجن, الآية في ظاهرها تحذر من أن الله قادر على إزالة الانسانية جمعاء و الاتيان بعباد آخرين مكاننا, أن نحن تقاعسنا عن حمل مسؤولية الخلافة في الارض, على ان معانيها

1.المرجع السابق, ص 36

2. المرجع السابق, ص 37

العميقة لا يعلمها الا الله, و لكننا نجتهد في فهمها بقدر ما اوتينا من عقل و علم لنصل الى حقيقة مهمة.

من البديهي أن كل أمة خرجت من ذرية آبائها, و لكن في خطاب الله تعالى للجنس البشري كما في الآية يكون الخطاب موجها في نفس اللحظة للأجداد و الآباء و الأبناء و الأحفاد من غير تمييز, لأننا كلنا نمثل الإنسانية و الجنس البشري على مر العصور, أصلنا واحد ووظيفتنا في الأرض واحدة, فضلاً عن أن الخطاب في الآية ارتبط بقضية الإستخلاف و هي وظيفة كل فرد, لأن آدم جعل خليفة في الارض يوم وجد انسانا كاملا و عاقلا و هكذا انحدرت سلالته يحملون ذات التكليف بالإستخلاف إلى آخر زمن, فكأن الله يقول لبني آدم جميعاً, اذا فشل تم في تحمل مسؤولية الخلافة التي من اجلها وجدتم, فالله قادر أن يذهبكم ثم يأتي بخلفاء جدد, بالطريقة نفسها التي أنشأكم بها يوم استخلف آدم من ذرية قوم آخرين.

في عصر نزول القرآن كان المجتمع الانساني بسيطاً جداً, و لذا فإن كماً كبيراً من آيات القرآن التي تصف الكون لم تكن ذات مدلول واضح للناس, و لكن مع اتساع دائرة المعرفة اصبحت كل حروف القرآن ذات مدلولات علمية خطيرة, هذه الحقيقة تدفعنا للتأمل في هذه الآيات[1].

﴿و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾65 البقرة

﴿قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبة عند الله, من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت أولئك شرٌ مكاناً و أضل عن سواء السبيل ﴾60المائدة

﴿فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾166 ءال عمران

1. رضوان كمال دباجة, نظرية الارتقاء و التطور في القرآن,ط1,دار المحجة البيضاء, بيروت, لبنان,2010,ص41

مسخ الله فئة من بني اسرائيل عقابا لهم على صيدهم الحيتان يوم السبت, فجعل الشباب قردة و الشيوخ خنازير ثم هلكوا جميعاً بعد ثلاثة أيام.[1]

لا شك أن الله الذي حول عصا موسى الى حية تسعى يمكنه أن يفعل ما يشاء, و لكن في مسخهم قردة و خنازير سراً يثير الدهشة مع الاكتشافات العلمية الحديثة, فالخنزير هو الحيوان الوحيد الذي أثبت العلم ان حمضه النووي أقرب إلى الانسان, أما القرد فهو أقرب فهو أقرب الحيوانات الى الانسان في شكله و روحه و تعابيره و هيئته, و بطبيعة الحال فالقرد هو المخلوق الذي افترضت المدرسة الداروينية أنه يمثل أصل الانسان في سلم التطور[2].

ما يثير التساؤل هنا لماذا كان المسخ الى هذين المخلوقين و ليس الى غيرها, علما بأن معظم أهل الارض غير المسلمين يحبون أكل لحم الخنزير, و أن كل أهل الأرض يجدون في القرد حيوانا لطيفا و مرحا و لا يستعمل أي منهما في الذم, كما يصف بعض الناس بعضهم بعضاً ب"الكلب" من باب التحقير مثلاً, و فيه إشارة الى العلاقة الغريبة بين هذين المخلوقين بخلق الانسان في مراحل تطوره؟[3]

1.المرجع نفسه, ص42

2. عماد حسن بابكر, آذان الانعام, مرجع السابق,ص38

3. مرجع نفسه, ص39

المبحث الثاني: التطور والقرآن الكريم

في أي بحث علمي و منطقي لا بد للباحث أن يبرز الحقائق المتفق عليها أولاً , ليصنع منها خلفية واقعية على ضوئها يبدأ في التفكر لاستنباط ما خفي من أسرار , و من هذه المنطلق العلمي لا بد أن نتذكر أنه قبل أن يخلق آدم كان الله موجوداً , و كانت الملائكة موجودة و كان ابليس و الجن موجودين , و كانت الارض قد فتقت عن السماء , و كانت الحياة قد دبت في الارض و قدّرت فيها الاقوات , و انتظمت فيها كل قوانين الطبيعة التي تجعل حياة الانسان و الحيوان و النبات ممكنة[1]

و لذلك ففي بداية قصة الخلق و تطور الانسان في القرآن الكريم نجد أن الله تعالى خاطب الملائكة لأن خلقهم قد سبق خلق الانسان , و بالتالي فإن لهم علماً بما يجري في الكون و الارض سبق خلق آدم , و نلاحظ أيضاً أن الله سبحانه و تعالى قد خاطب الملائكة خطابين مختلفين فيما يخص خلق البشر : الخطاب الأول كان بخصوص خلقه و الخطاب الثاني كان بخصوص تنصيبه خليفة لله في الأرض , المتدبر للخطابين يلاحظ اختلافات ذات أهمية كبيرة في صيغة الخطاب و في تعامل الملائكة مع الخبر , فعندما خاطب الله الملائكة بخبر خلق البشر خاطبهم بصيغة المفرد بأنه سيخلق بشراً من طين , كما نلاحظ في الآيات التالية : ﴿ اذ قال ربك للملائكة اني خٰلقٌ بشراً من طين فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له سٰجدين ﴾ ص 71-72 .

نلاحظ هنا أن الملائكة لم يكن لها ردٌ او تعليق على هذه الارادة الإلاهية , فالله هو العزيز الحكيم الخلاق العليم و له أن يخلق ما يشاءْ , و ما على الملائكة إلاّ السمع و الطاعة [2]

1. عماد حسن بابكر ,**آذان الانعام** , مرجع سابق , ص 45 .
2. المرجع نفسه, ص 46

ثم يأتي خطاب آخر في نفس الأمر و أيضاً بصيغة المفرد , و لكننا نلاحظ أن تجاوب الملائكة مع هذا الخبر اختلف: ﴿ و اذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الارض خليفة ﴾ هنا ردت الملائكة مباشرة متسائلين :﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك ...﴾ البقرة 3 .

هنا يخبرنا الله سبحانه و تعالى أنه حتى الملائكة تسأل اذا أحست بغرابة الأمر الإلاهي ليس استهانة بحكمة الله و لكن لكي تستزيد علماً من العليم الخبير , حيث أراد الله جعل البشر خليفة في الارض , استغربت الملائكة أن توكل تلك المهمة لمن يعرفون أنه وجد و أفسد في الأرض و سفك الدماء , و ما لم يكن معلوماً لدى الملائكة أن ذلك البشر كان خاضعاً لقانون تطور يعلمه الله وحده , إذ أودع قانون التطور ذلك في نطفة " أمشاج " التي فهم حديثاً أنها – أغلب الظن – تشير إلى الحمض النووي المسؤول عن الطفرات الجينية الى اليوم , و لذلك عندما قال الله عز و جل للملائكة :﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ و لما كان يقصد الله أنه يريد أن يغير في طبيعة هؤلاء البشر ليصبحوا خلفاء لي في الارض وهذا يفسر تساؤل الملائكة عن طبيعة البشر الظاهرة آنذاك : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ﴾[1]

لأنه لم يكن لديهم علم كيف سيتم التغيير و الى أي نتيجة يؤدي , و لكنهم كانوا على علم بسلوك هذا البشر و فساده من سابق تجربتهم معه .

الى هنا نرى تقارباً كبيراً بين ما تحتوي عليه هذه الآيات من معان نادراً ما تطرح للنقاش وما توصل إليه العلم الحديث بعدما تطور عقل الانسان ووصل الى مستوى أمكنه أن يقرأ آيات الله الكونية و يكتشف أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقتا , و أمكنه أيضاً أن يقرأ التاريخ البعيد لجنسه , و لازم ذلك تطورا مماثل في فهم المسلمين لآيات القرآن ساعدنا

1. رضوان كمال دباجة , **نظرية الارتقاء و التطور في القرآن** , مرجع سابق , ص 45 .

في استنباط معان واضحة جداً في هذه الآيات , لكنها كانت بعيدة عن تفكير الناس في الماضي[1]

الى هنا يمكن أن نختلف مع علماء الطبيعة في أن الانسان لم يكن قرداً في يوم من الايام ولكنه "بشرا" بفعل كنْ , و قضى ذلك البشر البدائي بنص القرآن حيناً من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً , و ربما كان في سلوكه و فساده و سفكه للدماء في ذلك أقرب الى الحيوانات , و ربما كان أيضاً في هيئته الغير معتدلة و عظامه أقرب الى القردة , الشيء الذي التبس على علماء الطبيعة في استنتاجاتهم .

يجب أن نذكر هنا أنه في الزمن الذي عاش فيه " داروين " لم يكن العلم قد وصل الى أيّة وسيلة يمكن التمييز بين رفات الانسان و الحيوانات الشبيهة في الاحماض النووية و غيرها وبالتالي ما كان يبدو لهم كالقرد من هيئته ظنوه قردا , و لكن معظم العلماء الذين مازالوا يؤمنون بهذه النظرية يعترفون أن الأصل ليس قرداً , و لكنه حيوان غامض يشبه القرد في هيئته و مشيته[2] .

اذا افترضنا جدلاً أن البشر هم مخلوقات عاشت حيناً من الدهر و أفسدت في الارض و سفكت الدماء قبل أن يجعلهم الله خلفاء له في الأرض بتغيير في تركيبتها و وظيفتها فما علاقة هؤلاء البشر بالطين ؟

اللافت للانتباه أن الله عز و جل كرر آيات خلق الانسان من تراب ثم من طين في مواقع كثيرة و مختلفة و كأنما يدعونا للتدبر فيما يقول فإذا وضعنا تلك الآيات و تدبرناها ربما نستطيع استنتاج طبيعة ذلك الطين و علاقته بالخلق الأول . يقول الله عز وجل :

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ﴾ السجدة 7

1. عماد محمد بابكر حسن , **آذان الانعام** , مرجع سابق , ص 48.
2. المرجع نفسه , ص 49 .

﴿ و لقد خلقنا الانسان من صلصٰل من حمإ مسنون ﴾ الحجر 26

﴿ و اذ قال ربك للملائكة إني خٰلق بشراً من صلصٰل من حمإ مسنون ﴾ الحجر 28

﴿ اذ قال ربك للملائكة إني خٰلق بشراً من طين ﴾ ص 71

﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضىٰ أجلاً و أجلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ الانعام 2

﴿ و لقد خلقنا الانسٰن من سلٰلة من طين ﴾ المؤمنون 12

﴿ فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنَّا خلقنٰهم من طين لازب ﴾ الصافات 11

﴿ قال له صاحبه و هو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوَّىٰك رجلا ﴾ الكهف 37

﴿ و الله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً ﴾ فاطر 11

﴿ خلق الانسٰن من صلصٰل كالفخار﴾ الرحمن 14 [1]

من الآيات أعلاه يمكننا أن نسلسل علاقة البشر بالتراب و الطين الذي خلقوا منه على النحو التالي : خلق الانسان من تراب ثم خلقه من طين ثم خلقناهم من طين لازب و من ثم خلق الانسان من صلصال من حمإ مسنون و من ثم خلق الانسان من صلصال كالفخار.

نلاحظ أن الله تعالى في كل الآيات التي ربطت أصل الانسان بالتراب و الطين قد استعمل لكلمة " خلق " و الخلق هو ايجاد الشيء من العدم , و هذا ما يحدث في المشيئة الالاهية بفعل المطلق , أي أن بدء الخلق قد يكون في شكل جسد متكامل أوجد من

1. المرجع السابق , ص 50 .

الطين بفعل "كنْ " أو قدرة تركيبه في مراحل التطور أيضاً أوجدت بفعل المطلق , كما هو الحال في خلق السماوات و الارض بفعل" كنْ " و لكن في ستة أيام , كل يوم منها كان يقدر بملايين السنين مما نعد و نفهم , و نلاحظ أيضاً في كل آيات خلق البشر أو الانسان من ماء و تراب و طين أنه لم يرد اسم آدم اطلاقاً , و كأن اسم" آدم " يشير الى مرحلة لاحقة من مراحل تطور البشر و ليس بداية خلقه[1]

الآيات كلها تشير إلى أن الطين يتحول الى نطفة في عملية الخلق , أي أن مكونات البشر من بروتين و كربوهيدرات و دهون و معادن تأتينا من التراب الذي يتحول الى طين خصب ثم تخلق منه النطفة التي تحمل" الامشاج " التي تواصل امتداد سلالة المخلوق .

1. المرجع السابق , ص 52

المبحث الثالث: التطور و السنة النبوية

العلماء المسلمين لم يكن لديهم الكثير في فهم قضية التطور غير أحاديث بعضها صحيح و مختصر فنقلاً من " البداية و النهاية " لابن كثير نجد روايات كثيرة منها:

1. عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض , فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الابيض و الأحمر و الاسود و بين ذلك , و الخبيث و الطيب , و السهل و الحزن و بين ذلك » رواه أبو داوود و الترمذي و هو حديث حسن صحيح .

2. عن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قالوا: « فبعث الله عز و جل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الارض : أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني , فرجع و لم يأخذ و قال : يا رب انها عاذت بك فأعذتها , فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها , فرجع و قال مثلما قال جبريل , فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع و لم أنفذ أمره , فأخذ من وجه الارض و خلطه و لم يأخذ من مكان واحد , وأخذ من تربة بيضاء و حمراء و سوداء , فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبَل التراب حتى عاد طيناً لازباً »[1]

هذا الحديث غير واضح في سنده و غريب في مضمونه , اذ كيف ينصاع جبريل الروح الامين و من بعده ميكائيل لإستعاذة الارض فيعصيان الله و لا ينصاع لأمر الله إلا ملك الموت ؟

3. خلق الله الانسان بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه و كان أشد منه فزعاً ابليس , فكان يمر به و يضربه

1. عبد الله بن مبارك المروزي , **الزهد و الرقائق** , ط1 , دار المعراج الدولية , عمان , 1995 , ص 986 .

فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة , فلذلك حين يقول " من صلصال كالفخار " و يقول لأمر ما خلقت , و دخل من فيه , و خرج من دبره وقال للملائكة : لا تذهبوا من هذا فإن ربكم صمد , و هذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه , فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح , قال للملائكة : اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له , فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس , فقالت له الملائكة قل الحمد لله , فقال : الحمد لله , فقال الله : رحمك ربك , فلما دخلت الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة , فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة , و ذلك حين يقول الله تعالى ﴿ خلق الانسٰن على عجل ﴾[1]

هذا الوصف فيه إفراط في التجسيد الذي يشابه خيال البشر أكثر مما يشابه سنن الله في الخلق

4. أما سكن الجنة ففيه أيضاً خلافات فمنهم من يقول : إنها جنة المأوى بالسماء و حاولوا أن يجدوا تفسيراً لوجود ابليس مع الملائكة , فقال شهر بن حوشب : « ابليس كان من الجن فلما فسدوا في الارض بعث الله اليهم جنداً من الملائكة فقتلوهم و أجلوهم إلى جزائر البحار و كان إبليس ممن أسر , فأخذوه معهم الى السماء فكان هناك , ولما أمرت الملائكة بالسجود امتنع ابليس منه »[2]

5. و هناك من يقول : ان آدم كان في الارض و إن الجنة في الارض , و الهبوط ليس من السماء , فالهبوط هنا لا يدل على النزول من السماء , قال عز و جل :﴿ قيل يٰنوح اهبط بسلٰم منها و برٰكٰت عليك و على أمم من معك ﴾ هود 48

1. المام ابي الفداء اسماعيل بن كثير , **البداية والنهاية** , ب ط , دار ابن كثير , دمشق , بيروت , 2010 , الجزء الاول , ص 86 .
2. المرجع نفسه , ص 73 .

قالوا : ان الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة من بقاع الارض ذات أشجار و ثمار و ظلال و نعيم و سرور , فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى عنها اهبط الى أرض الشقاء و الكدر و السعي ... و لا يلزم من هذا انهم كانوا في السماء[1]

من هنا ندرج ملحوظات مهمة جداً في قضية تطور و خلق الانسان التي تمثل محوراً مهما في تفكير الفلاسفة بل و هاجساً لعلماء الطبيعة , أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتحدث عنها كثيراً , و لم ينسب اليه من الاحاديث الصحيحة إلّا القليل العام الذي لم يشرح الآيات الكثيرة جدا التي وصفت خلق الانسان و تطوره من جوانب مختلفة , و أنا أظن أن أصح ما ورد من حديث في قضية خلق آدم هو الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله عليه و سلم : « خلقت الملائكة من نور , و خلق الجان من مارج من نار , وخلق آدم مما وصف لكم »[2]

فلعل الله ترك قضية الخلق لآياته الكونية تكشفها للإنسان حينما يتطور عقله , و يصل علمه بالكون لمستوى يمكنه من استيعابها و استيعاب ما ورد في القرآن من شأنها , من غير أن يتطرق النبي لتفسيرها في زمان ما كان قادراً على فهم تفاصيل الخلق و إن شرحت له .

1. المرجع السابق , ص 76 -77 .

2. عماد محمد بابكر حسن , **آذان الانعام** , مرجع سابق , ص 43 .

المبحث الرابع : التطور عند فلاسفة الاسلام

التطور عند إخوان الصفا:

التطور لدى إخوان الصفا ينشد غاية و هدف, وهو ليس تطوراً عشوائياً , " لكل كون و نشوء غاية أولاً و ابتداء , و له غاية و نهاية اليها يرتقي , ولغايتها ثمرة تجتنى "[1]

و هم لديهم دائما غاية بعيدة أكثر ترتيباً و تعقيداً تنزع اليها الموجودات جميعاً , أي أنها تبدأ بما هو جزئي لتنتهي الى ذلك الكلي , أي تبدأ من البسيط لتنتهي الى ذلك المعقد "و الموجودات الجزئية دائمة في الكون متوجهة نحو التمام , لأنها تبتدئ بالكون نت أنقص الوجود متوجهة الى أتم الوجود و ومن أدون الأحوال مترقية إلى أشرفها و أتمها "[2]

و هذا التطور لكي يصل لغايته المنشودة لينبغي له من عامل الزمن الذي يعمل عمله في الموجودات "تبتدئ (الكائنات) من أنقص الحالات و أدوئها إلى أفهمها و أفضلها, و يكون ذلك في مر الأزمان و الأوقات"[3].

و يقولون أيضاً "الأمور الطبيعية أحدثت و أبدعت على تدرج ممر الدهور طويل إلى أن تمخض و تميز اللطيف منها من الكثيف".

لدى إخوان الصفا تصور فريد لتطور الكائنات الحية و هم يقسمون سلسلة الكائنات هذه إلى مراتب تبعاً لهذه الكائنات من أعضاء و أدوات اي أنهم يبدأون من البسيط إلى الاعتقاد, و هكذا آخر مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوان, و آخر مرتبة الحيوان متصلة بأول مرتبة الانسان, و آخر مرتبة الانسان متصلة بأول مرتبة الملائكة [4].

1.عبد اللطيف محمد العبد ,**الانسان في فكر اخوان الصفا** , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , 1976 , ص 24

2.المرجع نفسه , ص 26

3. مجدي عبد الحافظ ,**فكرة التطور عند فلاسفة الاسلام** ,مرجع سابق , ص35

4.المرجع نفسه , ص 36

و تتميز رؤية إخوان الصفا بالملاحظة الدقيقة و العميقة لأحوال النباتات و تسجيلها كما هي في الواقع مع محاولة تفسيرها بمساعدة ما أتيح لهم من علم معروف في عصرهم أو بما وصلوا إليه من اجتهادات خاصة انهم يعرفون النبات بأنه:" كل جسم يخرج من الارض و يتغذى و ينمو"[1].

و هم يلجؤون أيضاً لعملية تصنيف, و لديهم ينقسم النبات إلى ثلاث أنواع منها ماهي أشجار تغرس قضبانها أو عروقها, و منها ما هو زروع تبذر حبوبها أو بذورها ,و منها ما هي تتكون من أجزاء أركان الارض إذا اختلطت و امتزجت, كالكلأ و حشائش, فهذه الاجناس الثلاثة يتنوع كل واحد منها أنواعاً كثيرة من جهات عدة و صفات مختلفة[2].

و تميزت دراسات إخوان الصفا بما يمكن أن نسميه الروح العلمية, قبل ظهور المنهج العلمي بقرون عديدة, و هذا ما نلحظه من دراساتهم القيمة عن الحيوان فهم يحاولون التصنيف و الترتيب تبعاً للبسيط ثم الأعقد فالأعقد حتى يبدو المتقدم و كأنه يمهد للذي سيأتي بعده, و هم بهذا يسرقون إلينا خطوات هذا التطور, و الذي يأتي تدريجيا و تحتاج لعامل الزمن.

إخوان الصفا يقسمون الحيوان حسب درجة تطوره و ارتقائه, و معاييرهم في هذا التصنيف هو مجموع ما يحوز عليه من حواس, و لذا نجدهم يرتبون الحيوان الاقل حواساً و يجعلونه متقدم الوجود عن الاكثر حواساً, و يعتبرون متقدم الوجود هذا حيواناً ناقصاً كما يعتبرون الحيوان مكتمل الحواس حيوانا تاماً كاملاً[3].

تميزت معالجة إخوان الصفا للكائنات بنظرة تطورية خالصة و أصلية, فعلى الرغم من ربطهم العمليات التطورية الحاصلة دائماً لمبدأ غائي يقع خارج الطبيعة, فإنهم يتحدثون

1.اخوان الصفا , **رسائل اخوان الصفا** , مجلد 3 , بيروت , 1405 , ص 107
2.المرجع نفسه , ص 109
3.المرجع نفسه , ص 111

عن عامل الزمن و أثره في هذا التطور و ليس الزمن فقط, بل البيئة و أثرها الكبير على الكائنات جميعاً بما فيها النبات و الحيوان و الانسان, و هما عاملا(الزمن و البيئة) يبعدان بعض الشيء عن الغائية التي أحاطت تصويرهم, و محاولتهم ضبط عامل الزمن بما يحتاجه الكائن من تطور بحيث يبدوا كلما طال الزمن كلما تطور الكائن, و كلما قل الزمن كلما قل هذا التطور, و هي معادلة منطقية اوجدوها بناءاً على ملاحظتهم للواقع و تأملهم له, بل و يذهبون الى ان تقدم بعض الكائنات على بعض لا يرجع لعامل الزمن فحسب, و لكن يرجع أيضاً للخدمة التي سيؤديها هذا الكائن لما سيوجد بعده من كائنات, ليس في ظروف التطور فقط و لكن من حيث ان سيأتي بعده من كائنات سيعتمد في جزء كبير على حفظ بقائه على من جاء قبله, كاعتماد الحيوان مثلا في غذائه على النبات, و اعتماد الانسان فيما بعد على الحيوان و النبات, و الواقع انهم بهذا الترتيب كأنهم يحاولون البحث عن مبرر لوجود الكائنات يمكن أن يكون مقبولا عقليا, و يساير أيضاً لواقع الاشياء على نحو ما هي موجودة بالفعل[1].

مسكويه :

التطور عند مسكويه يأتي في سباق تطور العلوم و المعارف التي ستدرج في معرفتها طالب المعرفة, بحيث يعلم ان ترقبه من افق الى افق كفيل بان ينقله ايضا من مرتبة الى مرتبة اخرى, حتى يصل الى العلوم الشريفة المكنونة, و هي التي تبدأ بالمنطق حتى تصل الى العلوم الالهية, و هذا سيؤدي بالضرورة الى تطور طالب المعرفة من مرحلة الى اخرى, الى ان يصل الى مرحلة اشبه ما تكون بهمزة الوصل بين الملأ الاعلى و الملأ الاسفل, اي بين طالب

1.توفيق الطويل , **الفلسفة الخلقية نشأتها و تطورها** ,ط3, دار النهضة , القاهرة , 1976 , ص 63

المعرفة الذي تدرج في المعارف و بين الله الذي سيفيض عليه في هذه الحالة بفيضه و الهاماته حتى يصل الى ان يكون حكيما تاماً او نسبياً مؤيداً[1].

كما يقول مسكويه في التطور «و تلحظ المرتبة التي ترقيت فيها اولاً من مراتب الموجودات, و علمت ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد ان يحصل له ما قبله, و انه اذا صار انسانا كاملا و بلغ غاية افقه اشرق نور الافق الاعلى عليه, و صار اما حكيما تاما تأتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكيمة و التأييدات العلوية في التصورات العقلية, اما نبيا مؤيدا يأتيه الوحي على ضروب المنازل التي يكون عند الله تعالى ذكره, فيكون حينئذ واسطة بين الملا الاعلى و الملا الاسفل »[2].

فالتطور اذن ما هو الا محاولة لعرض الفروق الجوهرية بين كل افق و اخر, و يقابلها من مرتبة تتصل بها تطابق وظيفة معلوم او علم محدد سلفاً, لا يرتقي الا بقدر المرتبة التي تطابقه و تعتمد كل مرتبة في وجودها على ما قبلها من مراتب, بحيث لا يمكن لطالب المعرفة الوصول الى آخر حدود افقه دون استيعاب لهذه المراتب, و ما يقابلها من وظائف أو علوم.

و يقول مسكويه أيضاً: «فأما اتصال الموجودات التي تقول ان الحكمة سارية من قبل الواحد الحق جميعاً, حتى اتصل اخر كل نوع بأول نوع اخر فسار كالسلك الواحد الذي ينظم خرزا كثيرا على تأليف صحيح, و حتى جاء من الجميع عقد واحد فهو الذي ننبه عليه بالدلالة بمعونة الله»[3].

و هنا نرى بأن مسكويه يشبه اتصال الموجودات ببعضها البعض كاتصال حبات العقد مع بعضها, و يطول كلامه عن النباتات و الحيوانات, حيث يقسم مسكويه النباتات الى ثلاثة اقسام هي: الأولى و الوسطى و الآخرة, و يرى بأن آخر مرتبة النبات مستعدة

1.ابن مسكويه , **الفوز الاصغر** ,ط1 ,بيروت , 1419 ه , ص 86
2.المرجع نفسه , 88
3.المرجع نفسه , ص 91

للانتقال الى أول مرتبة الحيوان, فهي في أخر أفق النبات مثل النخيل و يذكر بخصوص النخيل القول التالي: «لم يبقى بينه و بين الحيوان الا مرتبة واحدة, و هي الانقلاع من الارض و السعي الى الغذاء»[1].

و كذلك يقسم الحيوانات الى خمسة اقسام و يرى بأن أول افق الحيوان متصل بآخر افق النبات و آخر أفق الحيوان متصل بأفق الانسان.

البيروني:

ان ما يجعل البيروني حالة خاصة و مختلفة عن بقية الفلاسفة الذين قالوا بالتطور هو ان كتابه (التحقيق ما للهند من مقولة) عبارة عن دراسة و شرح موضوعي لكل الاساطير تاريخ و افكار الهند, فليس بالضرورة ان تكون فكرة التطور الواردة في كتابه هي مما ينتابه البيروني نفسه.[2]

تتميز فكرة التطور عند البيروني بالضبابية و عدم وضوح فكرة التطور لديه, فعلى عكس بقية الفلاسفة مثل اخوان الصفا و مسكويه الذين قاموا بشرح الارتباط بين الكائنات الحية و شرحوا فكرة ان الجماد يملك قابلية على التحول الى نبات, و ان النبات له قابلية على التحول الى حيوان...الخ , نجد ان البيروني يتحدث عن فكرة التقمص او التناسخ و هذه الفكرة تقول بان «النفس لكي تصل الى الموجود الانساني يجب عليها ان تمر برحلة طويلة مليئة بالمشاق, حيث تمر من خلال العالم الحي المعروف باسم (تيريا جلوكا) و تبدا هذه الرحلة من ادنى درجة في العالم النباتي حتى تصل الى اعلاها في العالم المحسوس»[3]

1.عثمان عبد المنعم , **فلسفة الاخلاق عند ابن مسكويه** ,ط1 , مكتبة الازهر , 1976 , ص 123

2.مجدي عبد الحافظ , **فكرة التطور عند فلاسفة الاسلام** , المرجع السابق , ص 105

3.المرجع السابق , ص 106

فكرة التطور عند البيروني تكاد غير موجودة و السبب اعتبار البيروني ممن قالوا او عرفوا فكرة التطور هو وجود نصوص لدى البيروني تشي بمفهوم الانتخاب الطبيعي, وجود قانون صارم في الطبيعة و ترتيب الكائنات بصورة مبسطة.

و النصوص كالآتي:

أ-«ان حياة العالم تخضع للزرع و النسل, هذان التطورات يزدادان مع الوقت, وهذه الزيادة غير محدودة بينما العالم محدوداً»[1].

نرى هنا ان البيروني يعبر عن النظرية الانتخاب الطبيعي بوضوح تام يكاد يتطابق مع مفهوم هذه الفكرة في العصر الحديث.

اما النص الثاني فيقول فيه: «الطبيعة تتصرف بطريقة متشابهة للطريقة التي ينهجها الانسان في الانتخاب الطبيعي, حيث لا تميز لأن فعلها هو نفسه في شتى الظروف فهي تسمح لأوراق و ثمار الأشجار بالهلاك, مانعة بهذا التصرف تحقيق النتيجة الطبيعية في اقتصاد الطبيعة, فهي تخلعها لتتيح مكانا لغيرها»[2].

هذا النص يعبر عن وجود قانون صارم لا يمكن ان تخرج الطبيعة عن اطاره.

كما نجد البيروني يحدد الكائنات بالكائنات الروحية و هي القمة, و الكائنات الادمية في الوسط و الحيوانات في القاع, و هذا تقسيم للمخلوقات كلها

1.مجدي عبد الحافظ , **فكرة التطور عند فلاسفة الاسلام** , المرجع السابق , ص 99

2.المرجع السابق , ص 100

ابن خلدون :

فكرة التطور عند ابن خلدون تشمل كل شيء الناس, الامصار, الاوقات و الدول, حيث يقول في هذا الصدد «ان احوال العالم و الامم و عوائدهم و نحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة و منهاج مستقر, انما الاختلاف على الايام و الازمنة و انتقال من حال الى حال, و كما يكون ذلك في الاشخاص و الاوقات و الامصار و كذلك يقع في الافاق و الاقطار و الازمنة و الدول»[1].

و اما في ما يخص الجانب البيولوجي فهو يقول: «لنشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب و الاحكام و ربط الاسباب بالمسببات و اتصال الاكوان بالأكوان و استحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك و لا تنتهي غايته»[2].

و يقول في تفسير معنى الاتصال: «و معنى الاتصال في هذه المكونات ان اخر افق منها مستعدة بالاستعداد الغريب لأن يصير اول افق الذي بعده و اتسع عالم الحيوان و تعددت انواعه, انتهى فيه تدرج التكوين الى صاحب الفكرة و الروية, ترتفع اليه من عالم القرود الذي اجتمع فيه الحس و الادراك و لم ينته الى الروية و الفكر بالفعل و كان ذلك اول افق الانسان بعده و هذا غاية شهودنا»[3].

من كل هذا نجد ان التطور عند ابن خلدون أكثر اتساعاً و عمقاً ممن سبقوه, و خصوصاً فكرة الاستحالة بين الكائنات, و السبب في ذلك يعود الى اطلاعه عليها و تنميته لها, فكثير من الباحثين يرجحون اطلاع ابن خلدون على كتابات اخوان الصفا بالتحديد, و لكن هذا لا يقلل من قيمة افكاره ابداً[4].

1.مجدي عبد الحافظ , **فكرة التطور عند فلاسفة الاسلام** , المرجع السابق , ص 102

2.المرجع السابق , ص 133

3.المرجع السابق, ص 133.134

4.جورج لا بيكا , **السياسة و الدين عند ابن خلدون**, موسى وهبي , دار الفارابي , بيروت , 1980,ص 65

الخاتمة

قائمة المصادر

و المراجع

فهرس

المحتويات

	المحتويات	الصفحة
	الاهداء الشكر فهرس المحتويات	
	المقدمة	01
الفصل المنهجي	تمهيد ..... اشكالية البحث ..... اهمية الدراسة ..... اهداف الدراسة ..... المفاهيم المفتاحية و الاساسية للدراسة ..... المنهج و ادوات البحث..... اسباب اختيار الموضوع ..... الدراسات السابقة..... الصعوبات التي واجهت الباحث خلال قيامه بالبحث.... خطة البحث..... خلاصة.....	05 05 06 06 06 08 09 09 10 10 10

الفصل الأول	الفصل الأول: تشارلز داروين	14
	المبحث الأول : سيرة حياة داروين	14
	المبحث الثاني : مؤلفات داروين.....	18
	المبحث الثالث : عصر داروين (العصر الكمبري).....	20
	المبحث الرابع : تأثير داروين في الفكر الحديث	26
الفصل الثاني	الفصل الثاني: نظرية التطور عند داروين و من قبله.....	33
	المبحث الأول: نظرية التطور قبل داروين.....	33
	المبحث الثاني: نظرية التطور عند داروين	37
	المبحث الثالث: نظرية التطور بين العلم والدين.....	41
	المبحث الرابع: نظرية التطور بين مؤيد و معارض.....	46
الفصل الثالث	الفصل الثالث: نظرية التطور من وجهة نظر إسلامية	52
	المبحث الأول: الطرح القرآني لنظرية التطور.....	52
	المبحث الثاني: التطور و القرآن الكريم.....	58
	المبحث الثالث: التطور والسنة النبوية.....	63
	المبحث الرابع: التطور عند فلاسفة الاسلام.....	66
	الخاتمة	74